التوحيد

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٨٢ السنة التاسعة والأربعون - جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ
الثمن ٥ جنيهات

العقل عند الإنسان

الفتوى

مكانتها وضوابطها

- ثمرات قضاء حوائج الناس
- تذكير الأنام بالحكمة في تعليم الإسلام
- من كرامات أهل القرآن وحسن خاتمتهم

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام

WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

السلام عليكم

هنيئًا للمصريين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا فُتحتْ مصرُ فاسْتَوْصُوا بالقبْط خيْرًا فإنَّ لهُمْ ذمَّةً ورَحِمًا» والقبط هم أهل مصر. وقال صلى الله عليه وسلم: «الله الله في قبْط مصر؛ فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عُدَّة، وأعوانا في سبيل الله» وقال: «فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خيْرًا، فَإِنَّهُمْ قُوَّةٌ لَكُمْ، وَبَلاغٌ إِلى عَدُوِّكُمْ بإِذْنِ الله».

قال المناوي ما ملخصه: «أعظم الله شأنها في القرآن والسنة. «فاستوصوا بأهلها خيرا»، وفي رواية: «فأحسنوا إليهم» أي: قابلوهم بالعفو عما تنكرون، ولا يحملنكم سوء أفعالهم وقبح أقوالهم على الإساءة إليهم. فالخطاب للولاة من الأمراء والقضاة ثم علله بقوله (فإن لهم ذمة) حُرمة وأمانًا من جهة إبراهيم ابن النبي عليه السلام، فإن أمه مارية منهم. (ورحمًا)؛ أي: قرابة لأن هاجر أم إسماعيل منهم. وقال الزركشي: أراد بالذمة: العهد الذي دخلوا به في الإسلام زمن عمر، فإن مصر فُتحت صلحًا، وهذا مما كُوشف به النبي صلى الله عليه وسلم من الغيب ومن معجزاته. ففتحت مصر على أتم الأحوال في سنة ٢٠ من الهجرة، وفيه إشعار بمحبته لأهل مصر، وإن فرط منهم ما فرط.

ومن فضائلهم أن أكثر المجددين على رأس كل قرن منهم». انتهى.

وفي الكلام إشارة إلى قوة أهل مصر، وعُدتهم وعونهم وقدرتهم في نصر الجيوش الإسلامية على عدوها؛ بإذن الله.

التحرير

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: الفتوى: مكانتها وضوابطها: د. عبد الله شاكر ٢
العقل عند الإنسان: د. صالح بن عبد الله بن حميد ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ١٠
باب الاقتصاد الإسلامي: د. حسين حسين شحاتة ١٣
باب السنة: تذكير الأنام بالحكمة في تعاليم الإسلام:
د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
طوبى للخاشعين المخبتين: أحمد عز الدين ٢٠
درر البحار: علي حشيش ٢١
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٢٣
قيم تربوية في حياة المبشرين بالجنة:
محمد عبد الحكيم القاضي ٢٦
من الأحداث المهمة في تاريخ الأمة: عبد الرزاق السيد ٢٩
بحار الفتن وسُبل النجاة: د. عماد عيسى ٣٣
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
باب الفقه: د. حمدي طه ٤١
نظرات في أحكام الطلاق: د. محمد عبد العزيز ٤٤
رد المحتار عن التفكير في الانتحار:
المستشار أحمد السيد علي إبراهيم ٤٧
الأسرة المسلمة: د. جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
من كنوز الجنة: عبده أحمد الأقرع ٦١
ثمرات قضاء حوائج الناس: صلاح نجيب الدق ٦٥
مفهوم لغة الجسد في القرآن والسنة (٣): د. ياسر لمعي ٦٩
من كرامات أهل القرآن وحسن خاتمتهم: د. أسامة صابر ٧١

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة حساب رقم ١٩١٥٩٠/

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن.

افتتاحية العدد

الفتوى: مكانتها وضوابطها (٢)

الرئيس العام د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعدُ: فقد تحدثت في اللقاء السابق عن الفتوى في عصر النبوة، ثم تكلمت عنها في عصر الصحابة -رضوان الله عليهم- وذكرت نموذجًا من مواقف الصديق رضي الله عنه. وأواصل الحديث عن ذلك فأقول -وبالله أستعين-:

إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سلك نفس المسلك الذي كان عليه الصديق رضي الله عنه. قال ابن القيم رحمه الله- بعد ذكره لطريقة أبي بكر رضي الله عنه في الفتوى-: «وكان عمر يفعل ذلك، فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة، سأل: هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء؟ فإن كان لأبي بكر قضاء؛ قضى به، وإلا جمع علماء الناس واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به». (إعلام الموقعين ١/ ٦٢).

وذكر ابن جرير الطبري وصية عمر رضي الله عنه لشريح لما بعثه للقضاء في الكوفة، قال له: «انظر ما يتبين لك في كتاب الله، فلا تسأل عنه أحدًا، وما لم يتبين لك في كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما لم يتبين لك فيه السنة فاجتهد رأيك». وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من المكثرين من الفتوى في عصر الصحابة، وكان منهجه يتفق مع سائر الأصحاب وهو القائل: «من عرض له منكم قضاء فليقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله فليقض بما قضى فيه نبيه صلى الله عليه وسلم، فإن جاء أمر ليس في كتاب الله ولم يقض فيه نبيه صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون، فإن

جاء أمر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيه صلى الله عليه وسلم ولم يقض به الصالحون فليجتهد رأيه، فإن لم يحسن فليقم ولا يستحي». انظر هذه الآثار وغيرها عن الصحابة في «إعلام الموقعين» (١/٦٢-٦٤).

ويظهر من هذه الآثار أن الصحابة- رضوان الله عليهم- كانوا يقدمون ويعتمدون على القرآن الكريم والسنة، ثم على ما ورد من كبارهم كأبي بكر وعمر، فإن لم يجدوا سأل بعضهم بعضًا، واجتهدوا في حكم المسألة، وهذا نموذج من فتاويهم رضي الله عنهم: عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّ نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم جَلَدَ في الخَمْرِ بالجَرِيدِ، والنِّعالِ، ثُمَّ جَلَدَ أبُو بَكْرٍ أرْبَعِينَ، فَلَمّا كانَ عُمَرُ، ودَنا النّاسُ مِنَ الرِّيفِ والقُرى، قالَ: ما تَرَوْنَ في جَلْدِ الخَمْرِ؟ فَقالَ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ: أرى أنْ تَجْعَلَها كَأَخَفِّ الحُدُودِ، قالَ: فَجَلَدَ عُمَرُ ثَمانِينَ. (مسلم: ١٧٠٦).

ومعنى قوله: «ودنا الناس من الريف والقرى» أنه لما كان زمن عمر رضي الله عنه وفتحت الشام والعراق، وسكن الناس في الريف، ومواقع الخصب وسعة العيش وكثرة الأعناب والثمار، وأكثروا من شرب الخمر، فجلد عمر ثمانين؛ تغليظًا عليهم وزجرًا لهم عنها.

عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: «كُنّا نُؤْتى بالشّارِبِ على عَهْدِ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وإمْرَةِ أبي بَكْرٍ وصَدْرًا من خِلافَةِ عُمَرَ، فَنَقُومُ إلَيْهِ بأَيْدِينا ونِعالِنا وأَرْدِيَتِنا، حتّى كانَ آخِرُ إمْرَةِ عُمَرَ، فَجَلَدَ أرْبَعِينَ، حتّى إذا عَتَوْا وفَسَقُوا جَلَدَ ثَمانِينَ». (صحيح البخاري: ٦٧٧٩).

ويلاحظ مما سبق أن الصحابة- رضوان الله عليهم- كانوا لا يخرجون في فتاويهم عن القرآن الكريم والسنة النبوية، أو يشاور بعضهم بعضًا حتى يقع منهم اتفاق على الحكم فيحكموا عندئذ به، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن الذين حُفظَتْ عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ونَيِّف وثلاثون نفسًا، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر. انظر «إعلام الموقعين» (١/١٢).

ثم جاء بعد الصحابة التابعون، والتابعي: هو من صحب الصحابي، وقيل: من لقيه، وهو الأظهر. انظر: «تدريب الراوي» (٢/٢٣٤).

> **“ الصحابة- رضوان الله عليهم- كانوا لا يخرجون في فتاويهم عن القرآن الكريم والسنة النبوية، أو يشاور بعضهم بعضا حتى يقع منهم اتفاق على الحكم فيحكموا عندئذ به. ”**

وقد سماهم رب العالمين بهذا الاسم في كتابه وأثنى على المتبعين منهم للصحابة رضوان الله عليهم، كما قال تعالى: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (التوبة:١٠٠)، وقد سلك التابعون مسلك الصحابة رضوان الله عليهم في الفتوى، فاعتمدوا في فتاويهم على القرآن الكريم والسنة النبوية، كما استفادوا من علم الصحابة، وكانوا رضوان الله عليهم كالصحابة في تورعهم عن الفتوى، وكان يتحاشونها كثيرًا.

قال ابن القيم: «وكان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فإذا رآها قد تعينت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة، أو قول الخلفاء الراشدين، ثم أفتى». (إعلام الموقعين: ١/٣٣).

وفي عصر التابعين ظهرت مدرستان فقهيتان:

المدرسة الأولى: مدرسة الحديث بالحجاز، وكان أهل المدينة يتبعون فتاوى ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأهل مكة يتبعون فتاوى عبد الله بن عباس.

> “وكان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره.”

والمدرسة الثانية: عرفت بمدرسة الرأي بالعراق، واتخذت الكوفة موطنًا أصليًا لها، وكانوا يتبعون فتاوى عبد الله بن مسعود، كما اتبع أهل البصرة فتاوى أبي موسى الأشعري، وأنس بن مالك. (انظر: تاريخ الفتوى في الإسلام ص٩٠).

وقد نفع الله بهاتين المدرستين، وإن كان أهل الحجاز يعتمدون على الحديث أكثر بسبب كثرة الصحابة فيها، وانتشار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، أما أهل الكوفة فقد احتاجوا أحيانًا إلى إعمال الرأي؛ لأن الحديث لم يكن منتشرًا هناك انتشاره بالحجاز، ولم تكن كتب السنة دُوِّنت بعد، إلى جانب بعض الحوادث التي جدت واحتاجت إلى النظر وإعمال العقل، مع حرصهم على التمسك بالنصوص التي بين أيديهم، ويصور ولي الله الدهلوي رحمه الله حال الفتوى في عصر التابعين فيقول: «اختلفت مذاهب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهم التابعون، كل واحد على ما تيسر له، فحفظ ما سمع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب الصحابة وعقلها... فانتصب في كل بلد إمام، مثل: سعيد بن المسيب، وسالم بن عبد الله بن عمر في المدينة، وعطاء بن أبي رباح بمكة، وإبراهيم النخعي والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، وطاووس بن كيسان باليمن، ومكحول بالشام، فأظمأ الله أكبادًا إلى علومهم فرغبوا فيها وأخذوا عنهم الحديث وفتاوى الصحابة وأقاويلهم، وكان سعيد بن المسيب وأصحابه يذهبون إلى أن أهل الحرمين أثبت الناس في الفقه وأصل

مذهبهم فتاوى عبدالله بن عمر، وعائشة، وابن عباس، وكان إبراهيم وأصحابه يرون أن عبدالله بن مسعود وأصحابه أثبت الناس في الفقه، وأصل مذهبه فتاوى عبد الله بن مسعود». (انظر: حجة الله البالغة ١/١٤٣).

ثم جاء عصر الأئمة الأربعة المتبوعين حتى يوم الناس هذا، وكان أولهم وجودًا الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى، وآخرهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وليس هذا مكان بسط الحديث عنهم والتعريف بهم ومكانتهم، غير أنهم لا بد من كلمة عامة عن منهجهم جميعًا، فأقول: إن هؤلاء الأئمة الأعلام كانوا جبالاً في العلم والدين وكانوا يتحرون اتباع الدليل والعمل به، ولم يتعمد واحد منهم الخروج عن الدليل أبدًا؛ لأنهم يؤمنون بوجوب الرد إلى القرآن الكريم والسنة النبوية إذا وقع نزاع في المسائل الشرعية؛ استجابة لقول الله تعالى: «فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» (النساء:٥٩).

وقد أثنى عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية، واعتذر لهم فيما وقع بينهم من خلاف، أو مخالفة لشيء من النصوص، وفي ذلك يقول: «وبعدُ: فيجب على المسلمين بعد موالاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن، خصوصًا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يُهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم... وليُعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عامًا يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته دقيقًا ولا جليلاً، فإنهم متفقون اتفاقًا يقينيًا على وجوب اتباع الرسول، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا وُجِدَ لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلا بد له من عذر في تركه، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف: أحدها: عدم اعتقاد أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله، والثاني: عدم اعتقاد إرادة تلك المسألة بذلك القول. والثالث: اعتقاد أن ذلك الحكم منسوخ». (مجموع الفتاوى ٢٠/٢٣١).

> **ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عامًا يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سُنته .**

وبناءً على ما تقدم أقول: لا يجوز لأحد أن يطعن على هؤلاء الأئمة الأعلام لنصرتهم للدين وسلامة منهجهم ومعتقدهم واتباعهم سبيل المؤمنين.

وللحديث صلة بإذن الله تعالى.

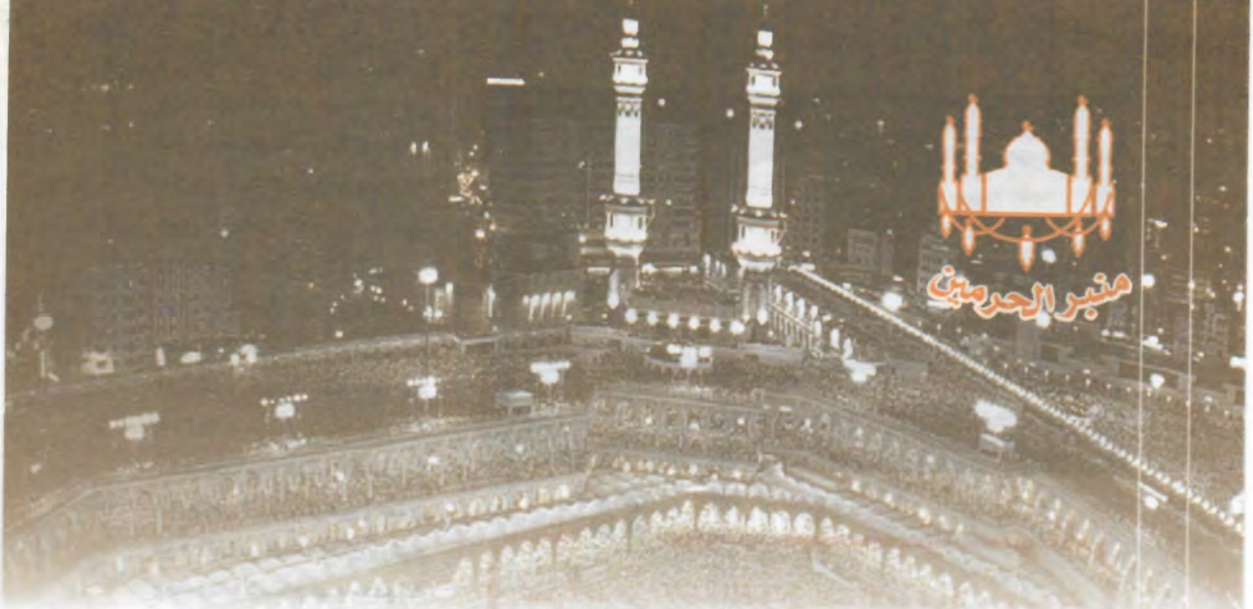

العقل عند الإنسان

إن الحمد لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا، ومن سيِّئاتِ أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُ الله ورسولُه. أما بعد: فإنَّ أحسنَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ- صلى الله عليه وسلم-، وشرَّ الأمور مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة.

إعداد **الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد**
إمام وخطيب المسجد الحرام

معاشرَ المسلمين: لقد كرَّمَ اللهُ الإنسانَ وفضَّله على كثير ممن خلَق، خلَقَه فأحسنَ خلقَه، وكرَّمَه بالاستعدادات التي أودعَها فطرتَه، هيئةً وفطرةً تجمعُ بين الطين والنفخة، هيَّأ له من التسخير ما يقومُ به في وظيفة الاستخلاف والتعمير، (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الجاثية: ١٣).

وان من أهمّ مُهمات الاستخلاف والتعمير: إصلاح التفكير واستقامتَه، وضبط مَساره في كل جوانب الحياة وميادينها. ومنزلةُ الإنسان وقوَّةُ تفكيره تظهرُ بقدر إعماله فكره، وحُسن تصرُّفه في عقله، ومدى تحقيقه لما ينفعُه في دُنياه وآخرته.

العقلُ- حفظكم الله- هو أُسُّ الفضائل، وينبُوعُ

الآداب، هو للدين أصل، وللدنيا عماد، وليس أفضل من أن يهب الله عبده عقلا راجحا، وتفكيرا مستقيما.

العقل قوة وغريزة اختص الله بها الإنسان، وفضله بها على سائر مخلوقاته، العقل قوة مدركة تقوم بوظائف كبرى، من ربط الأسباب بمسبباتها، وإدراك الغائب من الشاهد، والكليات من الجزئيات، والبدهيات من النظريات، والمصالح من المفاسد، والمنافع من المضار، والمستحسن من المستقبح، وإدراك المقاصد وحسن العواقب.

العقل نور من الله يميز به الحق والباطل، والخطأ والصواب في الأقوال والأفعال والاعتقادات والعلوم والمعارف.

ومن اللطيف- معاشر الإخوة-: أن لفظ العقل لم يرد في القرآن الكريم، وإنما جاءت مشتقاته ومرادفاته، كقوله- عز شأنه-: (مَا عَقَلُوهُ) (البقرة: ٧٥)، وقوله: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ) (الملك: ١٠)، وقوله - عز شأنه-: (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)(العنكبوت: ٤٣)، وقوله- تبارك وتعالى-: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (النحل: ٦٧)، وقوله: (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف: ٢)، (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (الأنعام: ٣٢)، (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) (يس: ٦٨).

كما جاء من المرادفات: (أُولُو الْأَلْبَابِ) (البقرة: ٢٦٩)، وأولو النهى، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى) (طه: ٥٤)، (لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (آل عمران: ١٩٠)، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) (ق: ٣٧)، (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ) (الفجر: ٥).

ومما يلفت النظر- عباد الله-: أن القرآن الكريم ربط ربطا واضحا بين الأذن وحاسة السمع، والعين وحاسة البصر، والرجل وقدرة المشي، واليد وقوة البطش، في مثل قوله- عز شأنه-: (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) (الأعراف: ١٩٥).

أما العقل فلم يربط بشيء من ذلك؛ بل ورد باسم وظيفته المدركة، وليس باسمه أو آلته، وكأن في هذا دلالة وإشارة إلى أن العقل يمثل مجموع أدوات الإدارك من سمع وبصر وفؤاد وقلب وغيرها، فالعقل مرتبط بالإنسان كله، ومنتظم لحواسه كلها، فهو ملكة وظيفية يرتبط وجودها وعملها بوجود أدواتها، وعلى قدر حسن توظيف الإنسان لهذه الأدوات يكون تعقله في الأمور، ونضجه في الإدراك، مما يتبين معه ارتباط العقل بالأحداث والتصرفات.

> العقل مكلف تكليفا صريحا بالنظر في ملكوت السماوات والأرض، وإدراك العلاقات أسبابا ومسببات.

فالنظر العقلي عمل حي متحرك له أبعاده ومدلولاته التي ترتبط بالأشخاص، والأزمان، والأحداث، وكل حركات الحياة والأحياء.

عباد الله: وقد جعل الله إعمال العقل وحسن استخدامه بيد الإنسان، فمن شاء فليتقدم، ومن شاء فليتأخر، ولا يكون إعمال العقل إلا في التفكير والتذكر، والاعتبار والتدبر، والنظر والتبصر، والعلم والفقه، وكل ذلك جاء الأمر به في كتاب الله- عز وجل- فيه آيات كثيرة، كقوله- عز شأنه-: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) (الأنفال: ٢١)، وقوله- عز شأنه-: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (الملك: ١٠)، وقال تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (ق: ٣٧).

أيها المسلمون: وإذا كان ذلك كذلك، فإن العقل في الإسلام هو مناط التكليف، ومحل الفهم، وبه استنباط الأحكام الشرعية وبيان مراد الشارع، وبه حسن التصرف في أمور الدين والدنيا.

والعقل مكلف تكليفا صريحا بالنظر في ملكوت السماوات والأرض، وإدراك العلاقات أسبابا ومسببات، واكتساب العلوم، والنظر في المصالح والمفاسد، والمنافع والمضار، والعدل والظلم، كل ذلك من أجل أن يستفيد من التسخير للقيام بمهمة التعمير.

والقرآن الكريم والسنة المطهرة مليئان بالدلائل البرهانية، والأقيسة العقلية، وضرب الأمثال، وحسن الجدال، كل ذلك حتى يتحرر العقل من تلبيسات الخرافة، وأساطير الأولين، وتخرصات الكهنة والمنجمين، والسحرة والمشعوذين، والطيرة والمتشائمين، والتقليد الأعمى لما عليه الآباء والأسلاف؛ لينطلق إلى آفاق رحبة واسعة من العقيدة الصافية، والعمل الصالح، والعطاء المنتج، قال- سبحانه-: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (النمل: ٦٤)، وقال- عز شأنه-: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا) (سبأ: ٤٦)، وقال- عز شأنه-: (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) (عبس:٢٥- ٣٢)، وقال- عز شأنه-: (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ)
(ق: ٦- ٨).

معاشر المسلمين: وإن من أعظم مخزون أمتنا الثقافي، وقضاياها العليا؛ ارتباط العقل بالنقل، وترتيب العلاقة بين المعقول والمنقول، وإن فحول علماء الأمة وراسخيها، ويأتي في مقدمهم شيخ الإسلام ابن تيمية، قدس الله سره، ورحم الله أهل العلم أجمعين، كلهم قرروا ودققوا وبرهنوا على موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، فلا تعارض بين عقل صريح ونقل صحيح، فقضايا العقل الصريح خلق الله، وما جاء في النقل الصحيح شرع الله، فلا تناقض ولا تعارض بين خلق الله وشرع الله، (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (النمل: ٨٨).

فالحق لا يتناقض، بل إن الأمر كلما كان أفسد في الشرع كان أفسد في العقل، فتتطابق الدلائل القرآنية على البراهين العقلية، ويتصادق موجب الشرع والمنقول مع النظر والمعقول، والمؤمن كلما كان إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه والتابعين لهم بإحسان أقرب، كان إلى كمال التوحيد والإيمان والعقل والعرفان أقرب، وكلما كان عنهم أبعد، كان عن ذلك كله أبعد.

أيها المسلمون: والعالم المعاصر بعلومه وفنونه ومكتشفاته ومخترعاته، ما أصاب من خير ومنافع فمن إعمال العقل، وما أصاب من سوء ومفاسد فمن حرية العبث والهوى، والبعد عما جاء به المرسلون من الحق والهدى، ولا يجوز الخلط بين الأمرين، وبنو آدم بالعلم والعقل يرتقون إلى مصاف الملائكة الأطهار، كما قال- عز شأنه-: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)
(آل عمران: ١٨).

وبالشهوات والضلالات يكونون أضل من الأنعام، كما في قوله- عز شأنه-: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) (الفرقان: ٤٣- ٤٤)، وقال- عز شأنه-: (فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ) (النجم: ٢٩، ٣٠)، ويقول- جل وعلا-: (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (غافر: ٨٣).

عباد الله: فإن الإنسان مسؤول عن حفظه عقله، والله سائله عما استرعاه في نظره وفكره، وحسن استخدامه لذلك كله، شأنه في ذلك شأن كل النعم من عمر وصحة، ومال

وبنين، وحفظ حواس، وسلامة أجهزة، قال تعالى: (إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا) (الإسراء: ٣٦).

ومن أجل هذا فإنّ ذا العقل السليم والمنهج المستقيم يربأ بنفسه عن الدنايا، وينأى عن المحقرات، ولا يميل مع الهوى، ولا يخضع للعادات وما عليه الآباء والأسلاف، ويتجنب العناد والمكابرة والمراء.

أيها المسلمون: ومع مكانة العقل وكريم مقامه، فإنه آلة ووسيلة للفهم، له حدوده التي ليس له أن يتجاوزها، فإن خرج عن حدوده وقع في الضلال والانحراف، ودخل في المعني بقوله- عز شأنه-: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ) (الأعراف: ١٧٩).

العقل بمجرده لا يصلح مرجعا ولا ميزانا، فعقول البشر متفاوتة في قوتها وضعفها وادراكها واستيعابها، وإن من الخطل أن يخلط من يخلط، فيجعل عقله هو المرجع، فما يستنكره هواه أو رأيه ورغباته، يحسب أن العقل هو الذي استنكره وأباه، وما قبله فعنده أن العقل هو الذي قبله وارتضاه، وقد علم أن العقول مختلفة منازلها، والحظوظ متفاوتة إدراكاتها.

وتأملوا- رحمكم الله- ما ورد في الخبر: «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله؛ فإنكم لن تقدروا قدره».

قال أهل العلم: «وما ذلك إلا لأن العقل البشري لا يدرك ما كان خارج الصور التي يحسها ويراها، والمدركات التي يعيشها، أما الغيب وما وراء المحسوس فلا يدركه العقل إلا بالخبر الصادق. وابراهيم- عليه السلام- أراه الله ملكوت السماوات والأرض؛ ليكون من الموقنين، وأراه كيف يحيي الموتى ليطمئن قلبه، فحقائق الغيب لا تدرك إلا بالخبر الصحيح من الصادق المصدوق.

ألا فاتقوا الله- رحمكم الله-، فالعقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، دال على صدق الرسالة، والعقل شرط في معرفة العلوم وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، ولكنه ليس مستقلا بنفسه، بل هو متصل بنور الكتاب والسنة، (وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا) (الشورى: ٥٢)، وإذا انفرد العقل بنفسه لم يبصر، وإذا استقل بذاته عجز عن الإدراك الصحيح.

> **إنّ ذا العقل السليم والمنهج المستقيم يربأ بنفسه عن الدنايا، وينأى عن المحقرات.**

هذا وصلوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة: نبيكم محمد رسول الله؛ فقد أمركم بذلك ربكم، فقال في محكم تنزيله- وهو الصادق في قيله-: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦).

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك: نبينا محمد الحبيب المصطفى، والنبي المجتبى، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين.

وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن الصحابة أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجودك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واخذل الطغاة، والملاحدة، وسائر أعداء الملة والدين.

اللهم وأصلح أحوال المسلمين، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم احقن دماءهم، واجمع على الحق والهدى والسنة كلمتهم، وول عليهم خيارهم، واكفهم أشرارهم، وابسط الأمن والعدل والرخاء في ديارهم، وأعذهم من الشرور والفتن ما ظهر منها وما بطن.

باب التفسير

سُورَةُ الْفَتْحِ

الحلقة (١١)

قال الله تعالى: « مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا » (الفتح:٢٩).

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

وقوله: «أشداء على الكفار رحماء بينهم»؛ فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم، وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم، وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله، أعزة، قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم. (تيسير الكريم الرحمن: ٢/٣٠٨).

قال صاحب «الكشاف»: وليس المراد بكونهم أذلة هو أنهم مهانون، بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب.

فإن قيل: هلا قيل: أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين؟

قلنا: فيه وجهان: أحدهما: أن يضمن الذل معنى الرحمة والشفقة، كأنه قيل: راحمين عليهم مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع. والثاني: أنه تعالى ذكر كلمة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم، فيفيد أن كونهم أذلة ليس لأجل كونهم ذليلين في أنفسهم، بل ذاك التذلل إنما كان لأجل أنهم أرادوا أن يضموا إلى علو منصبهم فضيلة التواضع. (التفسير الكبير ١٢/٢٦، الكشاف: ١/٣٤٦).

فلما وصف الله تعالى ما عليه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من حسن معاملة الخلق أتبعه بذكر ما هم عليه من حسن معاملة الخالق سبحانه

فقال: «تراهم رُكّعًا سُجّدًا»، وهو تعبير يوحي بكثرة صلاتهم، كما قال تعالى: «ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ» (المعارج: ٢٣)، وقال تعالى: «إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (١٥) ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» (الذاريات: ١٥-١٨).

وإيثار صيغة المضارع للدلالة على تكرر ذلك، أي تراهم كلما شئت أن تراهم رُكّعًا سُجّدًا. وهذا ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الأعمال المزكية للنفس، وهي الصلوات مفروضها ونافلتها. (التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٠٥).

ثم أثنى عليهم بالإخلاص في عبادتهم فقال: «يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا» أي يطمعون أن يدخلهم الله في رحمته، ويحل عليهم رضوانه كما وعدهم حيث قال: «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ» (التوبة: ٧٢)، وفي سوق هذا في مساق الثناء إيماء إلى أن الله حقق لهم ما يبتغونه.

من فضائل الصلاة:

ولكثرة الصلاة أثر في الظاهر كما أن لها أثرًا في الباطن، ولذا قال تعالى: «سيماهم في وجوههم من أثر السجود».

قال ابن كثير رحمه الله: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: يعني السمت الحسن. وقال مجاهد رحمه الله وغير واحد: يعني الخشوع والتواضع. وقال ابن أبي حاتم رحمه الله: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن منصور عن مجاهد رحمه الله: «سيماهم في وجوههم من أثر السجود» قال: الخشوع. قلت: ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه، فقال: ربما كان بين عينيّ من هو أقسى قلبًا من فرعون. وقال السدي رحمه الله: الصلاة تحسن وجوههم. وقال بعض السلف: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار. (تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٢٠٤)

ذلك أثر الصلاة في وجوه المصلين في الدنيا، ويوم القيامة أيضًا يظهر أثر الصلاة على وجوههم ويميزون به عن غيرهم، حتى من دخل النار من عصاة المسلمين يميزون بأثر الصلاة في مواضع السجود. كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب»؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب»؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس، فيقول: إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج، ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم، فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود». (صحيح البخاري ٦٥٧٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال الزين بن المنير: تعرف صفة هذا الأثر مما ورد في قوله سبحانه وتعالى: «سيماهم في وجوههم من أثر السجود» لأن وجوههم لا تؤثر فيها النار فتبقى صفتها باقية.

وقوله: «وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود» هو جواب عن سؤال مقدر تقديره: كيف يعرفون أثر السجود مع قوله في حديث أبي سعيد عند مسلم: «فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أذن الله بالشفاعة» فإذا صاروا فحمًا كيف يتميز محل السجود من غيره حتى يعرف أثره؟

وحاصل الجواب:

تخصيص أعضاء السّجود من عموم الأعضاء التي دلّ عليها من هذا الخبر، وأن الله منع النار أن تحرق أثر السّجود من المؤمن.

قال النوويّ رحمه الله: وظاهر الحديث أنّ النّار لا تأكل جميع أعضاء السّجود السّبعة، وهي الجبهة، واليدان، والرّكبتان، والقدمان، وبهذا جزم بعض العلماء.

قال الحافظ رحمه الله: ووجدت بخط أبي- رحمه الله تعالى- ولم أسمعه منه من نظمه ما يوافق مختار النوويّ وهو قوله:

يا ربّ أعضاء السّجود عتقتها
من عبدك الجاني وأنت الواقي
والعتق يسري بالغنى يا ذا الغنى
فامنن على الفاني بعتق الباقي

(فتح الباري لابن حجر ١١/ ٤٥٦ و٤٥٧)

فليكثر المؤمن من السّجود لله تعالى فبذاك وصّى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر» (صحيح مسلم ٤٨٨).

وعن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليك بكثرة السّجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحطّ عنك بها خطيئة». (صحيح مسلم ٤٨٩).

وعن ربيعة بن كعب رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع، حتى يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة، فأجلس ببابه إذا دخل بيته، فبتّ عنده، فما أزال أسمعه يقول: «سبحان الله! سبحان الله! سبحان الله وبحمده» حتى أملّ، فأرجع أو تغلبني عيني فأرقد. قال: فقال لي يومًا: يا ربيعة سلني أعطك. قال: فقلت أنظر في أمري يا رسول الله! ثم أعلمك ذلك. قال: ففكرت في نفسي فعرفت أن الدنيا منقطعة زائلة، وأن لي فيها رزقا سيكفيني ويأتيني، قال: فقلت أسأل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدعو الله أن ينجيني من النار، ويدخلني الجنة. قال: فقال من أمرك بهذا يا ربيعة؟! قال: فقلت ما أمرني به أحد، ولكنك لما قلت سلني أعطك، وكنت من الله بالمنزل الذي أنت به، نظرت في أمري وعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقا سيأتيني، فقلت أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لآخرتي، قال: فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلاً ثم، قال لي: «إني فاعل، فأعني على نفسك بكثرة السّجود» (صحيح مسلم ٤٨٩).

وعن كثير بن مرّة أن أبا فاطمة حدثه قال: قلت: يا رسول الله! أخبرني بعمل أستقيم عليه وأعمله! قال: «عليك بالسّجود، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحطّ بها عنك خطيئة». (صحيح سنن ابن ماجه:١١٦٩)

وعن أم حبيبة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعا غير فريضة إلا بنى الله له بيتا في الجنة أو إلا بني له بيت في الجنة» (صحيح مسلم ٧٢٨). «أربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر» (صحيح الترمذي:٤١٤).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

باب الاقتصاد الإسلامي

أسس الاقتصاد الإسلامي

إعداد أ.د. حسين حسين شحاتة

الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أسس الاقتصاد الإسلامي، مفهومه وخصائصه وعناصره وبنياته الأساسية، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الفروق الأساسية بين الاقتصاد الإسلامي والنظم الاقتصادية الوضعية:

للاقتصاد الإسلامي ذاتيته المميزة والخاصة، والتي تختلف في كثير من الجوانب عن النظم الاقتصادية الوضعية سواء أكانت رأسمالية أو اشتراكية، وأنه من أفدح الأخطاء من يظن جهلاً أو تجاهلاً أن النظام الاقتصادي الإسلامي يأخذ بالمنهج الاشتراكي أو بالمنهج الرأسمالي، فشتان بين نظام اقتصادي يقوم على أسس مستنبطة من شرع الله الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وبين نظم اقتصادية تقوم على أسس من وضع البشر المخلوق الذي يخطئ ويصيب.

وهناك من فقهاء الاقتصاد الإسلامي من يرون أنه لا يجوز المقارنة بين النظام

الاقتصادي الإسلامي وبين النظم الاقتصادية الوضعية؛ لأنه لا وجه للمقارنة على الإطلاق بين شرع الله وشرع من وضع البشر، ولديهم الأدلة الكثيرة على رأيهم، وهناك من فقهاء الاقتصاد الإسلامي من يرون أن ذلك بقصد إبراز عظمة النظام الاقتصادي الإسلامي وبيان الفروق بينه وبين النظم الاقتصادية الوضعية؛ لكي يزداد المسلمون إيمانا مع إيمانهم بأن الإسلام نظام شامل لجميع نواحي الحياة، وليس من المنطق أن نقترض من الشرق والغرب وخزائن المسلمين مليئة بالذخائر العلمية والعملية.

والرأي الصواب أنه بالنسبة للفظ «المقارنة» أن المقارنة تكون بين مثلين، ولأن الشريعة الإسلامية شريعة إلهية ذات خصائص لا تتوفر لأي منهج بشري؛ فإن استخدام لفظ المقارنة غير دقيق، والأصح استخدام لفظ «المقابلة»؛ لأنها تستخدم بين مختلفين. ومن هنا يمكن مقابلة النظام الاقتصادي الإسلامي بالنظم الاقتصادية التقليدية لبيان الفروق بينه وبين هذه النظم، يقول الله عز وجل: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (التوبة: ١٠٩)، ويقول عز وجل (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ) (٢١) (فاطر: ١٩-٢١).

وهنا نورد أهم الفروق الجوهرية بين الاقتصادي الإسلامي والنظم الاقتصادية الوضعية، حتى لا يظن البعض أنه لا فرق بين النظم الاقتصادية المختلفة.

أهم الفروق بين النظام الاقتصادي الإسلامي وبين النظم الاقتصادية الوضعية:

أولا: الفروق من حيث الأهداف والمقاصد:

يتمثل مقصد النظام الاقتصادي الإسلامي في إشباع الحاجات الأصلية للإنسان وتوفير حد الكفاية الكريم ليحي الناس حياة طيبة رغدة وليعينهم على تعمير الأرض وعبادة الله عز وجل، وبذلك فهو يهدف إلى تحقيق الإشباع المادي والروحي للإنسان، وأساس ذلك قول الله عز وجل:(هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) (هود: ٦١)، وقوله كذلك: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦).

أما مقاصد النظم الاقتصادية الوضعية هي تحقيق أقصى إشباع مادي ممكن وتكوين الثروات، بدون أي اعتبار إلى الإشباع الروحي.

ثانيا: الفروق من حيث القيم والأخلاق:

يقوم النظام الاقتصادي الإسلامي على منهج إيماني أخلاقي مبعثه تحقيق رضا الله عز وجل وعبادته والإيمان بأن العمل (ومنه المعاملات الاقتصادية) عبادة، وأساس ذلك قول الله عز وجل: (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (النحل: ١١٤).

أما النظم الاقتصادية الوضعية فهي تقوم على منهج الفصل بين الدين وحلبة الحياة، فلا دخل للعقيدة والأخلاق بالاقتصاد، ومن مثل المفاهيم التي يلتزمون بها: «الغاية تبرر الوسيلة»، وهي مرفوضة تماما في الفكر الاقتصادي الإسلامي؛ إذ يحكم الاقتصاد الإسلامي قواعد: مشروعية الغاية ومشروعية الوسيلة، ووسائل الحرام حرام، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

ثالثا: الفروق من حيث المرجعية والمصادر:

يضبط النظام الاقتصادي الإسلامي مجموعة من الأحكام والمبادئ (الأصول أو الأسس) المستنبطة من مصادر الشريعة الإسلامية: القرآن والسنة واجتهاد الفقهاء ونحو ذلك.... كما أنه يلتزم بمقاصد الشريعة الإسلامية بل يعمل على

تحقيقها وهي حفظ الدين والعقل والنفس والعرض والمال، وتتسم أسس وضوابط الاقتصاد الإسلامي بالثبات والعالمية والواقعية، وتأتي المرونة في التفاصيل والإجراءات والأساليب والأدوات والوسائل.

بينما يحكم النظم الاقتصادية الوضعية مجموعة من المبادئ والأسس من استنباط واستقراء البشر الذي يصيب ويخطئ، كما تتأثر هذه المبادئ بالأيديولوجية التي تنتهجها الحكومات سواء أكانت حرة برجوازية أو شيوعية أو اشتراكية أو تعاونية، وعلى ذلك فهي غير ثابتة أو مستقرة، بل دائمة التغيير والتبديل، وتتصف كذلك بالتضاد والنقص، كما تتأثر بالتغيرات الدائمة في الظروف المحيطة، وذلك لأن واضعوها ينقصهم المعرفة الكاملة باحتياجات البشرية.

رابعا: الفروق من حيث الأساليب والوسائل:

يستخدم فقهاء وعلماء وخبراء الاقتصاد الإسلامي مجموعة من الأساليب والوسائل التي تحقق المقاصد والغايات شريطة أن تكون مشروعة، وعليهم أن يأخذوا بأحدث أساليب التقنية الحديثة، فالحكمة ضالة المسلم، أينما وجدها فهو أحق الناس بها، ويحكم ذلك القاعدة الشرعية: مشروعية الغاية ومشروعية الوسيلة.

وأحيانا نجد تشابهاً بين بعض الأساليب والوسائل الاقتصادية التي تستخدم في النظم الاقتصادية الإسلامية والرأسمالية والاشتراكية، لأن ذلك من الأمور التجريدية.

والفارق الأساسي في هذا الأمر هو أن الإسلام يركز على مشروعية الغاية ومشروعية الأساليب والوسائل، بينما لا يعتد بذلك في النظم الاقتصادية الوضعية.

خامسا: الفروق من حيث الفرائض والواجبات:

يقوم النظام الاقتصادي الإسلامي على مجموعة من الفرائض المالية منها فريضة الزكاة والميراث وفقا لحدود الله، وكذلك على مجموعة من الواجبات والمندوبات مثل بعض الصدقات والنذور والوقف والوصايا... وما في حكم ذلك، كما يوجد نظام التكافل لتحقيق التنمية والضمان الاجتماعي.

بينما تختلف هذه الفرائض في النظام الاشتراكي عنه في النظام الرأسمالي وكلاهما يختلف من مكان إلى مكان، فعلى سبيل المثال تأخذ هذه النظم الوضعية بنظام الضرائب المباشرة وغير المباشرة وهذه الأمور تسبب خللا في المعاملات الاقتصادية، وتقود إلى تكدس الأموال في يد حفنة من الناس ليسيطروا على مقادير الآخرين ولقد انتقدت هذه النظم في الوقت المعاصر انتقادًا شديدًا من بعض علماء وكتاب النظر الاقتصادية الوضعية.

سادسا: الفروق من حيث ضوابط ونظام السوق:

يعمل النظام الاقتصادي الإسلامي في ظل سوق حرة طاهرة نظيفة خالية تمامًا من الغرر والجهالة والتدليس والمقامرة والغش والاحتكار والاستغلال وكل صور البيوع التي تؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل، ويضبط التزام المتعاملين بذلك من الوازع الديني والأخلاقي والنفسي والرقابة الاجتماعية والرقابة الحكومية، ويجوز للدولة التدخل في السوق إذا ما حدث خلل يترتب عليه ضررًا للأفراد وللمجتمع.

بينما يعمل النظام الاقتصادي الاشتراكي في ظل سوق مخططة من حيث تكاليف الإنتاج التي تحدد عرض المنتجات، ومن حيث الأسعار، فلا توجد فردية للإنتاج أو التسعير... ونحو ذلك، وفي هذا قتل للحوافز البشرية على الإبداع والابتكار.

بينما يعمل النظام الاقتصادي الرأسمالي في ظل سوق حرة مطلقة بدون ضوابط عقدية وأخلاقية وانسانية، مما يؤدي في معظم الأحيان إلي تكوين التكتلات والاحتكارات والاستغلال، وهذا هو الواقع في الدول الرأسمالية الآن والتي بدأت أخيرا بتدخل الدولة للحد من تلك التكتلات والاحتكارات.

سابعًا: الفروق من حيث الملكية:

الأصل في النظام الإسلامي المحافظة على الملكية الخاصة، وتكون مسئولية الدولة حمايتها وتهيئة المناخ للنماء والتطوير، ويلتزم الأفراد بسداد ما عليهم من حقوق على هذه الملكية مثل الزكاة والصدقات والجزية والخراج... وكذلك من حق الدولة أن تفرض على أموال الأغنياء ضرائب في حالة الضرورة إذا لم تكف الإيرادات، كما توجد الملكية العامة بضوابط ولتحقيق مقاصد معينة لا يمكن للقطاع الخاص الوفاء بها، مثل المنافع العامة كما لا يجوز للدولة أن تأخذ ملك إنسان لمنفعة عامة عند الضرورة مع أداء التعويض العدل.

أما في ظل النظام الرأسمالي الاقتصادي فإن الأصل الملكية الخاصة وتكون الملكية العامة في أضيق الحدود وتتمثل حقوق الدولة على أساس الملكية الخاصة في الضرائب والرسوم المختلفة والتي عادة ما تكون مرتفعة والمفهوم السائد للحرية المطلقة في أداء الأنشطة الاقتصادية هو: «دعه يعمل، دعه يمر» وفي ظل النظام الاقتصادي الاشتراكي فإن الأصل هو الملكية العامة لعوامل الانتاج في ظل إطار مخطط تخطيطا مركزيًا، وعادة ما تكون الضرائب قليلة ومنخفضة، ويؤدي الحد من الملكية الخاصة إلى الفتور في العمل والانتاج وقتل الحافز الذاتي. مما يعني أن الملكية في النظام الاقتصادي الإسلامي في وضع وسط ومعتدل ومنضبط بين النظامين الآخرين.

يتضح من التحليل السابق أن هناك فروقًا جوهرية أساسية بين النظام الاقتصادي الإسلامي وبين النظم الاقتصادية الوضعية. وعندما تطبق مفاهيم وأسس وضوابط الاقتصاد الإسلامي في مجتمع إسلامي سوف تتحقق الحياة الرغدة الكريمة للناس، وتكون مسئولية الدولة هي توفير حد الكفاية لكل فرد بصرف النظر عن دينه وفكره.

تناولنا في هذا المقال أساسيات الاقتصاد الإسلامي كفكر يقوم على مجموعة من الأسس وله عناصره وبنياته، وأبرزنا أهم الفروق الرئيسة بينه وبين المناهج الاقتصادية الوضعية، وخلصنا إلى مجموعة من الثوابت من أهمها ما يلي:

- الطبيعة المميزة للاقتصاد الإسلامي أنه يرتكن إلى أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية بصفة عامة، وفقه المعاملات بصفة خاصة.
- من مقاصد الاقتصاد الإسلامي أنه يساهم في تحقيق أقصى إشباع ممكن لحاجات الإنسان الروحية والمادية ليعينه على عمارة الأرض وعبادة الله عز وجل، فلا يفصل بين العبادات والمعاملات.
- أنه يقوم على منظومة من المعالم والثوابت (الأسس) ذات المرجعية الإسلامية، من أهمها أنه لا يفصل بين القيم الايمانية والأخلاقية وبين المعاملات الاقتصادية، وأنه يحترم الملكية الخاصة بضوابط شرعية، وأنه يوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة، ويعمل في ظل سوق حرة خالية من الاحتكار والكذب والغش والجهالة والتدليس والربا والمقامرة وكافة صور أكل أموال الناس بالباطل.
- يعمل الاقتصاد الإسلامي وفقا لآلية تجمع بين الأصالة والمعاصرة وبين الثبات والمرونة، قادر على استيعاب مجريات العصر في إطار المعايير والضوابط الشرعية، ولهذا فإنه صالح للتطبيق في كل زمان ومكان.

وللحديث بقية إن شاء الله.

تذكير الأنام بالحكمة في تعليم الإسلام

بقلم

د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

روى الإمام مسلم رحمه الله بسنده إلى معاوية بن الحكم السُلمي رضى الله عنه: قال: بينا أنا أُصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عَطَس رجلٌ من القوم، فقلتُ: يرحمك الله، فرماني القومُ بأبصارهم، فقلت: واثُكل أُمياه! ما شأنكم تنظرون إليَّ؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلمَّا رأيتهم يُصمّتونني، لكنّي سكت، فلمَّا صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي، ما رأيتُ معلّمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني ولا ضَرَبني ولا شتمني، قال: «إنَّ هذه الصَّلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنَّما هو التسبيحُ والتكبير، وقراءة القرآن»، أو كما قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله، إنّي حديثُ عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإنَّ منَّا رجالًا يأتون الكُهَّان؟ قال: «فلا تأتهم»، قال: ومنَّا رجال يتطيَّرون؟ قال: «ذاك شيءٌ يجدونه في صدورهم، فلا يَصدنَّكم»، قال قلت: ومنَّا رجال يخطُّون؟ قال: «كان نبيٌّ من الأنبياء يخطُّ، فمَن وافق خطَّه فذاك». قال: وكانت لي جاريةٌ ترعى غنمًا لي قبل أُحُد والجوانية، فاطلعتُ ذات يوم، فإذا الذُئبُ قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجلٌ من بني آدم، آسَفُ كما يأسفون، لكنّي صككتُها صكَّة، فأتيتُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فعظَّم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: «ائتني بها»، فأتيتُه بها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السَّماء، قال: «مَن أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها، فإنَّها مؤمنة».

التخريج:

١- رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصَّلاة، ونسخ ما كان من إباحة، ح رقم: ٣٣.

٢- مسلم في كتاب السلام، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ، حديث رقم ٤٢٥١.

٣- أبو داود في سننه، بَابٌ فِي الْخَطِّ وَزَجْرِ

الطَّيْر، حديث رقم ٣٤٦٥. وفي: باب في الرَّقبة المُؤمنة، حديث رقم ٢٩٠٧، وفي: تفريع أبواب الرُّكوع والسُّجود، حديث رقم ٨٢٤.

٤- النسائي في الصغرى، الكلام في الصلاة، حديث رقم ١٢٠٩.

شرح مفردات الحديث:

قَوْلُهُ: (واثُكْلَ أُمِّيَاهُ) الثُّكْلُ بضمِّ الثاء وإسكان الكاف وبفتحهما جميعًا لُغتان، كالبُخْل والبَخَل، حكاهما الجوهريُّ وغيرُه، وهو فقدانُ المرأة ولدها، وامرأةٌ ثكلى وثاكلٌ، وثكلتْهُ أمُّهُ بكسر الكاف، وأثكلهُ اللهُ تعالى أمَّهُ.

وقولُهُ: (أُمِّيَاهُ) هو بكسر الميم (أي أمي).

قولُهُ: (فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم) يعني: فعلوا هذا ليُسكتوه، وهذا محمولٌ على أنَّهُ كان قبل أن يُشرع التَّسبيحُ لمن نابهُ شيءٌ في صلاته.

قولُهُ: (فبأبي هو وأمي ما رأيتُ مُعلِّمًا قبلَهُ ولا بعدَهُ أحسنَ تعليمًا منهُ) فيه: بيانُ ما كانَ عليه رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّم من عظيم الخُلق الذي شهد اللهُ تعالى لهُ به.

قولُهُ: (فواللهِ ما كهرني) أيْ: ما انتهرني.

قولُهُ صلى اللهُ عليه وسلَّم: (إنَّ هذه الصَّلاة لا يصلحُ فيها شيءٌ من كلام النَّاس، إنَّما هو التَّسبيحُ والتَّكبيرُ وقراءةُ القرآن) فيه: تحريمُ الكلام في الصَّلاة، سواءٌ كان لحاجة أو غيرها، وسواءٌ كان لمصلحة الصَّلاة أو غيرها، فإن احتاج إلى تنبيه أو إذنٍ لداخلٍ ونحوه سبَّح إن كان رجلًا، وصفَّقتْ إنْ كانت امرأةً، هذا مذهبنا ومذهب مالك وأبي حنيفة - رضي اللهُ عنهم - والجمهور من السَّلف والخلف.

وأمَّا قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (إنَّما هو التَّسبيحُ والتَّكبيرُ وقراءةُ القرآن) فمعناهُ: هذا ونحوه، فإنَّ التَّشهُّد والدُّعاء والتَّسليم من الصَّلاة وغيرَ ذلك من الأذكار مشروعٌ فيها، فمعناهُ: لا يصلحُ فيها شيءٌ من كلام النَّاس ومُخاطباتهم، وإنَّما هي التَّسبيحُ وما في معناهُ من الذِّكر والدُّعاء وأشباههما ممَّا ورد به الشَّرعُ.

قولُهُ: (إنِّي حديثُ عهدٍ بجاهليَّة) قال العُلماءُ: الجاهليَّةُ ما قبل ورود الشَّرع، سمُّوا جاهليَّةً لكثرة جهالاتهم وفُحشهم.

> والطيرةُ محمولةٌ على العمل بها لا على ما يُوجدُ في النَّفس من غير عمل على مُقتضاه عندهم.

وقولُهُ: (إنَّ منَّا رجالًا يأتون الكُهَّان قال: فلا تأتهم) قال العُلماءُ: إنَّما نُهي عن إتيان الكاهن؛ لأنَّهم يتكلَّمون في مُغيَّبات قد يصادفُ بعضها الإصابة؛ فيُخافُ الفتنةُ على الإنسان بسبب ذلك؛ لأنَّهم يُلبِّسون على النَّاس كثيرًا من أمر الشَّرائع، وقد تظاهرت الأحاديثُ الصَّحيحةُ بالنَّهي عن إتيان الكُهَّان وتصديقهم فيما يقولون، وتحريم ما يُعطون من الحُلوان، وهو حرامٌ بإجماع المُسلمين، وقد نقل الإجماعَ في تحريمه جماعةٌ منهم أبو محمد البغويُّ رحمهُم اللهُ تعالى.

قولُهُ: (ومنَّا رجالٌ يتطيَّرون قال: ذلك شيءٌ يجدونه في صدورهم فلا يصدَّنَّهم)، وفي رواية: (فلا يصدَّنَّكم) قال العُلماءُ: معناهُ أنَّ الطِّيرة شيءٌ تجدونه في نُفوسكم ضرورةً ولا عتب عليكم في ذلك، فإنَّهُ غيرُ مُكتسبٍ لكم فلا تكليف به، ولكن لا تمتنعوا بسببه من التَّصرُّف في أُموركم، فهذا هو الذي تقدرون عليه، وهو مُكتسبٌ لكم فيقعُ به التَّكليفُ، فنهاهُم - صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - عن العمل بالطِّيرة والامتناع من تصرُّفاتهم بسببها، وقد تظاهرت الأحاديثُ الصَّحيحةُ في النَّهي عن التَّطيُّر.

والطِّيرةُ هي محمولةٌ على العمل بها لا على ما يُوجدُ في النَّفس من غير عملٍ على مُقتضاهُ عندهُم.

قولُهُ: (ومنَّا رجالٌ يخُطُّون قال: كان نبيٌّ من الأنبياء عليهم السَّلام يخطُّ فمن وافق خطَّهُ فذاك) اختلف العُلماءُ في معناهُ، فالصَّحيحُ أنَّ معناهُ: من وافقهُ خطُّهُ فهو مُباحٌ لهُ، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقينيِّ بالموافقة فلا يُباحُ، والمقصودُ: أنَّهُ حرامٌ، لأنَّهُ لا يُباحُ إلا بيقين

الْمُوافَقَة، وَلَيْسَ لَنَا يَقِينٌ بِهَا.

قَوْلُهُ: (وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ) هِيَ بِفَتْحِ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ، وَبَعْدَ الْأَلِفِ نُونٌ مَكْسُورَةٌ ثُمَّ يَاءٌ مُشَدَّدَةٌ، هَكَذَا ضَبَطْنَاهُ، وَالْجَوَّانِيَّةُ - بِقُرْبِ أُحُدٍ - مَوْضِعٌ فِي شَمَالِيِّ الْمَدِينَةِ.

قَوْلُهُ: (آسَفُ) أَيْ أَغْضَبُ وَهُوَ بِفَتْحِ السِّينِ.

قَوْلُهُ: (صَكَكْتُهَا) أَيْ لَطَمْتُهَا. (ينظر: شرح الإمام النووي للحديث في شرحه لصحيح مسلم بتصرف).

المعنى العام للحديث:

معاوية بن الحكم السلمي صحابي جليل حديث عهد بإسلام، لا يعلم أن الكلام في الصلاة يُبطلها، يصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم، فيسمع مصليًا يعطس، فيُشمِّته وهو في الصلاة، ويقول له: يرحمك الله، ورأى الصحابة ينظرون إليه نظرة استنكار ودهشة، وظن معاوية في نفسه أنه لم يأت شيئًا يُنكر، فنظر فيهم نظرة استغراب كذلك وقال: فقدتني أمي -وهو دعاء اعتادته العرب عند الدهشة-.

ثم قال معاوية وهو في الصلاة: ماذا فعلت لكي تنظروا إليَّ هذه النظرات؟ فأخذوا يضربون أفخاذهم ببطن أكفهم ثم يقلبونها، فلما رأى معاوية أن الاستنكار يزداد سكت وأتم صلاته.

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة استدعاه، وكلمه وكان معلمًا رحيمًا له؛ فقال له: إن الصلاة لا يحل فيها كلام الناس، وانما هي تسبيح وتكبير وقراءة القرآن.

فكان من أثر ذلك: أن اطمأن معاوية رضى الله عنه للحديث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعذبه؛ فاستخرج ما في نفسه، وبدأ يسأل ليتعلم، فقال: يا رسول الله، إني حديث عهد بالإسلام (أي: فالتمس العذر لي إذا أثقلت في سؤالي).

> التسبيح والتكبير وقراءة القرآن والتشهد والدعاء والتسليم من الصلاة وغير ذلك من الأذكار مشروع فيها ، ولا يصلح فيها شيء من كلام الناس ومخاطباتهم.

ثم قال معاوية: منا رجال يتكهنون ورجال يأتون الكهان الذين يزعمون علم الغيب فيسمعون ويعتقدون؟ فعلمه صلى الله عليه وسلم لا تأت الكهان، ولا تسمع منهم، ولا تعتقد صحة ما يزعمون.

ثم قال معاوية: ومنا رجال يتطيرون أي: يتفاءلون بأمر ويتشاءمون من آخر، فما حكم التطير؟ فعلَّمه صلى الله عليه وسلم: ما يقع في الصدر من الانقباض أو الانبساط أمرٌ غير مكتسب لا حساب عليه، ولكن على المسلم ألا يعمل على مقتضى التشاؤم، فلا يحل له أن يمتنع من القيام بمصلحة لما حصل في نفسه من التشاؤم.

ثم قال: ومنا رجال يخطون على الرمل وغيره ويدَّعون أنهم يعرفون الغيب عن طريق هذه الخطوط؛ فعلمه صلى الله عليه وسلم: أنه كان نبي من الأنبياء قد أعطاه الله علم بعض الغيب عن طريق هذه الخطوط؛ لكن لا نبي بعدي، ومدَّعي علم الغيب بهذه الخطوط كاذب ومنجِّم، وقد يوافق قوله واقعًا صدفة لا علمًا، فلا تصدَّقوهم في مزاعمهم.

ثم قال معاوية: وكانت لي أمة جارية ترعى غنمًا لي بين منطقة أُحُد والجوانية، فأهملت الحراسة فأكل الذئب شاة من غنمي وأنا إنسان يغضب كما يغضب البشر، فغضبت ولطمتها لطمة قوية.

فكيف أكفر عن ذنبي؟ قال: ائتني بها.

فأتاه بها، فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعرف إيمانها قال لها: أين الله؟ قالت في السماء.

قال لها: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. فشهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان، وقال أعتقها فإنها مؤمنة (ينظر: شرح الحديث من كتاب فتح المنعم شرح صحيح الإمام مسلم).

وفي هذا القدر الكفاية، وللبحث صلة الشهر القادم: إن شاء الله.

طوبى للخاشعين المخبتين

إعداد أحمد عز الدين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، وبعد:

اعلم أخي أن سكون الجوارح وخضوعها لخالقها جل وعلا لا يأتي إلا بالخشوع في القلب الذي يتحصن بالعلم النافع والعقل الرشيد، ويبتعد عن البدع والخرافات، ولا يخالف القرآن والسنة المطهرة وإجماع الصحابة واجتهاد أهل العلم المشهود لهم بالثقة والفضل، ولهذا يجب إيقاظ الضمائر والهمم لتحقيق خشوع القلب قبل الجوارح.

أولاً: كن عالمًا بأن أصل الخشوع هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع الجوارح والأعضاء؛ لأنها تابعة لها، كما جاء في الحديث المتفق عليه، قال صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». رواه البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

ثانيًا: إن المخبتين «المتواضعين لله»، والخاضعين المنكسرين لعظمته؛ مدحهم الله سبحانه في كتابه فقال: «وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ» (الحج:٣٤)، قال الفراء: أي تخشعوا لربهم سبحانه وتعالى، وأخبت لله؛ أي: خشع وتواضع.

وقال الله عز وجل: «وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الأحزاب:٣٥)، وقال تعالى: «إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ» (الأنبياء:٩٠).

ووصف سبحانه المؤمنين بالخشوع في أشرف عباداتهم التي عليها يحافظون، فقال تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ» (المؤمنون:١-٢)، ووصف الذين أوتوا العلم حيث يكون سبحانه كلامه مسموعًا فقال: «إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا» (الإسراء: ١٠٧-١٠٩).

ثالثًا: كن على يقين أنه إذا خشع القلب خشع السمع والبصر والرأس وسائر الأعضاء وما ينشأ منها حتى الكلام، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه في الصلاة: «خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي». وفي رواية: «واستقل به قدمي». (رواه مسلم في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه).

فطوبى للخاشعين لله المسارعين إلى عمل القربات وفعل الطاعات، ويكون دعاؤهم دعاء الموقن بوعد الله ووعيده، ولذلك فهم يدعون الله رغبًا فيما عنده من الثواب، ورهبًا مما عنده سبحانه وتعالى من العقاب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

درر البحار

في بيان ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (٨٩) القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

٨١٥- «مَن ذهَب بصَرُه في الدُّنيا جعَل الله عزَّ وجلَّ له نورًا يومَ القيامةِ إنْ كان صالحًا».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٢٧/٢) (ح١٤٤٢) من حديث بشر بن إبراهيم عن الأوزاعي، عن حميد، عن عطاء، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن مسعود مرفوعًا، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن الأوزاعي إلا بشر بن إبراهيم الأنصاري».

قلت: إذن هذا الحديث غريب ومحور ارتكاز علته بشر بن إبراهيم، حيث نجد أيضًا أن الإمام ابن عدي أخرجه في «الكامل» (١٣/٢) (٢٥٠/٧) عن هذا الطريق مع أحاديث أخرى، وقال: «هذه الأحاديث عن الأوزاعي لا يرويها غير بشر، وهي بواطيل». ثم قال: «وهو عندي ممن يضع الحديث على الثقات». وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٨٩/١): «بشر بن إبراهيم الأنصاري يضع الحديث على الثقات لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه». اهـ. فالحديث موضوع.

فائدة مهمة: هذا الحديث أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة» «درر البحار في الأحاديث القصار» (ص١/٦٨)، مكتبة الحرم النبوي «الحديث»، رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «طس عن ابن مسعود». اهـ. و(طس): ترمز على «المعجم الأوسط» للطبراني.

قلت: وهذا تخريج بغير تحقق؛ حيث يتوهم من لا دراية له أن الحديث صحيح، وهو كما بينا حديث موضوع.

وإن تعجب فعجب أن الحديث الذي يليه في المخطوطة حديث: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده...». وقال السيوطي: (م عن أبي سعيد). و(م) ترمز إلى صحيح مسلم. فانظر كيف خلط بين حديث «صحيح» وبين حديث «موضوع»، وهو شر الضعف وأقبحه من أجل ذلك قسمنا «درر البحار» إلى قسمين: الأول: «درر البحار من صحيح الأحاديث القصار»، ورتبناه على درجات الصحة حتى بلغ عدد الأحاديث (٢٨٥٠) حديث في شعبان ١٤٣٣هـ، ثم بدأ القسم «درر البحار في ضعيف الأحاديث القصار» في رمضان ١٤٣٣هـ بتوفيق الله.

٨١٦- «داروا سُفهاءَكُمْ بثُلثِ أموالكُمْ».

الحديث لا يصح، أورده القاري في «الموضوعات» (ح١٢٩)، وقال: «لا يعرف له أصل».

٨١٧- «ما عملَ عبدٌ ذنبًا فساءَهُ إلا غُفِرَ له وإن لم يستغفرْ منه».

الحديث لا يَصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١/١٨٩، ١٩٠)، وابن عدي في «الكامل» (٢/١٣٢) (٧/٢٥٠) من حديث بشر بن إبراهيم الأنصاري، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة مرفوعًا، وعلته بشر بن إبراهيم، وهو يضع الحديث، وهذا الحديث من البواطيل التي يرويها عن الأوزاعي ولا يرويها غير بشر. كما بينا آنفًا. فالحديث موضوع.

٨١٨- «الناسُ نيامٌ فإذا ماتُوا انتبَهوا».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٤/٢٣) بصيغة الجزم مرفوعًا، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجده مرفوعًا ولكن يعزى إلى علي بن أبي طالب».

٨١٩- «رُبَّ عابدٍ جاهلٍ ورُبَّ عالمٍ فاجرٍ، فاحذروا الجُهَّالَ منَ العبادِ والفَجارَ منَ العلماءِ، فإنَّ أولئكَ فتنَةُ الفَتَناءِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١/١٤) ط (دار الفكر بيروت)، من حديث بشر بن إبراهيم عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة مرفوعًا، وعلته بشر: وهو وضاع كما بينا آنفًا.

فائدة: لهذا الحديث طريق آخر أخرجه الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٦/٤٤١) (١٩١٧/٢٩٦) قال: حدثنا علي بن أحمد الجرجاني، حدثنا محفوظ بن بحر، حدثنا الوليد بن عبد الواحد، عن عمر بن موسى، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة مرفوعًا، فقد يظن من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن (عمر بن موسى) متابع لشيخ (بشر بن إبراهيم)، وهو ثور بن يزيد فيحسبها متابعة قاصرة تقوي الحديث، ولكنها تزيد الحديث وهنًا على وهن، حيث قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/١/١٣٣): «سألت أبي عن عمر بن موسى الوجيهي فقال: متروك ذاهب الحديث كان يضع الحديث». اهـ. وعلة أخرى في هذا الطريق «محفوظ بن بحر» قال الحافظ ابن عدي: سمعت أبا عروبة يقول: كان محفوظ يكذب. اهـ.

٨٢٠- «نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن طولِ سقفِ البيتِ فقال: إنَّها مساكنُ الشَّياطينِ».

الحديث لا يَصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٥/٩) (١١٨٧/٢٢٠) من حديث أبي أمامة مرفوعًا وعلته عمر بن موسى الوجيهي وهو متروك ذاهب الحديث يضع الحديث كما بينا آنفًا. وقال ابن عدي: «هو ممن يضع الحديث متنًا وإسنادًا».

٨٢١- «اطْووا ثيابَكم ترجِعْ إليها أرواحُها؛ فإنَّ الشَّيطانَ إذا وجَد الثَّوبَ مَطويًا لَمْ يلبَسْه وإذا وجَده منشورًا لبِسه».

الحديث لا يصح: أخرجَه الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/٣٢٨) (ح٥٦٩٨) ط المعارف بالرياض من حديث عمر بن موسى بن وجيه، ولا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد». اهـ. قلت: فالحديث غريب مطلق، وعلته عمر بن موسى الوجيهي، وهو متروك ذاهب الحديث وضاع كما بينا آنفًا. وقال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/٢/١٩٧): «منكر الحديث». اهـ.

فقه المرأة المسلمة

الحلقة
(٣٠)

فقه المرأة في الزكاة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم:
أما بعد: ذكرنا في الحلقة السابقة بعض الأحكام المتعلقة بالمرأة في باب الزكاة، وبينا هل يجوز أن تدفع الزوجة زكاتها إلى زوجها الفقير أم لا، وحكم دفع الزوج زكاة ماله إلى زوجته، وهل تجب الزكاة في صداق المرأة أم لا، ونستكمل بعض الأحكام المتعلقة بزكاة الفطر وصدقة التطوع سائلين الله تعالى أن يتقبل جهد المقل، وأن ينفع به المسلمين.

إعداد **د/عزة محمد رشاد (أم تميم)**

أولاً: زكاة الفطر:

الفطر: اسم مصدر من قولك: «أفطر الصائم إفطارًا» وأضيفت إلى الفطر لأنه سبب في وجوبها، فهو من إضافة الشيء إلى سببه.
(شرح غاية المنتهى ٣/٢٦).

١- حكمها:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة». (أخرجه البخاري: ١٥٠٣).

ذهب جمهور أهل العلم من السلف والخلف أن لفظ «فرض» في الحديث المتقدم يعني واجب، فزكاة الفطر فرض واجب عند الجمهور، وقد نقل ابن المنذر وغيره الإجماع على ذلك.

وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وأهل الظاهر وغيرهم. وذهب أبو حنيفة إلى أنها ليست فرضًا وأنها واجبة، بناء على قاعدة الحنفية في التفريق بين الفرض والواجب، لأن الفرض عندهم ما ثبت بالدليل القطعي والواجب ما ثبت بالدليل الظني.

ونذكر بعضًا من أقوال أهل العلم:

قال ابن المنذر في الإجماع (ص١٣). «وأجمعوا على أن صدقة الفطر فرض».

جاء في الاستذكار (٣/ ٢٦٥): «قال جمهور أهل العلم من التابعين ومن بعدهم: هي فرض واجب على حسب ما فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينسخها شيء.

٢- حكمتها:

أنها طُهرة للصائم من اللغو والرفث وإطعام للمساكين والرفق بهم في إغنائهم عن السؤال يوم العيد ومشاركتهم الأغنياء في الفرح والسرور وشكر الله عز وجل على إتمام شهر رمضان.

عن ابن عباس قال «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات». (صحيح سنن أبي داود ١٦٠٩، وصحيح ابن ماجه ١٨٢٧)، وصححه الألباني -رحمه الله- في الإرواء (٨٤٣).

٣- هل تجب زكاة الفطر على الزوجة؟

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: ذهب مالك والشافعي وأحمد إلى أن الزوج يلزمه إخراج زكاة الفطر عن زوجته لأنها تابعة للنفقة.

واستدلوا بحديث: «أدوا صدقة الفطر عمن تمونون» (ضعفه الحافظ في الفتح ٢/٣٩٩، وضعّفه الشوكاني في النيل ٤/٢١٤، وأعله بالارسال).

> **قال مالك: إن أحسن ما سمعت فيما يجب على الرجل من زكاة الفطر أن الرجل يؤدي ذلك عن كل من يضمن نفقته ضمان وجوب**

القول الثاني: ذهب أبو حنيفة وابن المنذر من الشافعية وأهل الظاهر إلى أن زكاة الفطر تجب على الزوجة في نفسها ويلزمها إخراجها من مالها. واستدلوا بحديث ابن عمر وفيه: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين» (أخرجه البخاري ١٥٠٣).

ونذكر أقوال أهل العلم في المسألة

جاء في شرح الموطأ (٢/١٧٧): «قال مالك: إن أحسن ما سمعت فيما يجب على الرجل من زكاة الفطر أن الرجل يؤدي ذلك عن كل من يضمن نفقته ضمان وجوب، كما قال ولا بد له، فلا فراق ولا محالة من أن ينفق عليه كزوجته».

وجاء في مطالب أولي النهى (٣/٢٨): «وتلزمه أي: المسلم إذا فضل عنده عما تقدم وعن فطرته عمن يمونه من مسلم كزوجة وولد حتى زوجة عبده الحرة؛ لوجوب نفقتهم عليه، وكذا زوجة والد وولد تجب نفقتهما عليه».

وفي روضة الطالبين (٢/١٥٤): «الفطرة قد يؤديها عن نفسه، وقد يؤديها عن غيره، وجهات التحمل ثلاث: الملك والنكاح والقرابة، وكلها تقتضي وجوب الفطرة في الجملة، فمن لزمه نفقة بسبب منها لزمه فطرة المنفق عليه.

قال ابن همام في فتح القدير (٢/٢٨٩، ٢٩٠): «ولا يؤدي عن زوجته، لقصور الولاية والمؤنة فإنه لا يليها في غير حقوق النكاح ولا يمونها في غير الرواتب كالمداواة».

وفي نيل الأوطار (٤/٢١٤): «قال الشوكاني: قوله «الذكر والأنثى» ظاهره وجوبها على المرأة، سواء كان لها زوج أو لا، وبه قال الثوري وأبو حنيفة وابن المنذر، وقال مالك والشافعي والليث وأحمد وإسحاق: تجب على زوجها تبعًا للنفقة.

تعقيب وترجيح:

الذي أراه وأعتقد أنه الحق هو ما ذهب إليه أبو حنيفة والنووي وابن المنذر وأهل الظاهر من أن الزوجة يلزمها إخراج زكاة الفطر عن نفسها من مالها إن كان لها مال، وهو الصواب؛ لأن ذلك يوافق ما جاء في حديث ابن عمر وهو

في البخاري وقد تقدم، ولأن المانعين استدلوا بحديث ضعفه كثير من أهل العلم وقد سبق بيان ذلك.

ثانيا: صدقة التطوع:

أجر المرأة إذا تصدقت من بيت زوجها من غير مفسدة:

١- عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة فلها أجرها وللزوج بما اكتسب، وللخازن مثل ذلك» (أخرجه البخاري ١٤٤١، ومسلم ١٠٢٤).

٢- عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة عام حجة الوداع يقول: «لا تنفق امرأة شيئًا من بيت زوجها إلا بإذن زوجها، قيل يا رسول الله ولا الطعام؟ قال: ذاك أفضل أموالنا». (صحيح سنن الترمذي ٦٧٠).

قال النووي في شرح مسلم (١٢٢/٤): «واعلم أنه لا بد للعامل - وهو الخازن- وللزوجة والمملوك من إذن المالك في ذلك، فإن لم يكن إذن أصلاً فلا أجر لأحد من هؤلاء الثلاثة، بل عليهم وزر بتصرفهم في مال غيرهم بغير إذنه، والإذن ضربان:

أحدهما: الإذن الصريح في النفقة والصدقة.

الثاني: الإذن المفهوم من اطراد العرف والعادة كإعطاء السائل كسرة ونحوها مما جرت العادة به واطراد العرف فيه وعلم بالعرف رضاء الزوج والمالك به، فإذنه في ذلك حاصل وإن لم يتكلم وهذا إذا علم رضاه لاطراد العرف وعلم أن نفسه كنفوس غالب الناس في السماحة بذلك والرضا به. فإن اضطرب العرف وشك في رضاه أو كان شخصًا يشح بذلك وعلم من حاله ذلك أو شك فيه لم يجز للمرأة وغيرها التصدق من ماله إلا بصريح إذنه.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «وما أنفقت من كسبه من غير أمره فإن نصف أجره له» فمعناه: من غير أمره الصريح في ذلك القدر المعين ويكون معها إذن عام سابق متناول لهذا القدر وغيره، وذلك الإذن الذي قد أولناه سابقا، إما بالصريح وإما بالعرف، ولا بد من هذا التأويل لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الأجر مناصفة، وفي رواية أبي داود (فلها نصف أجره) ومعلوم أنها إذا أنفقت من غير إذن صريح ولا معروف من العرف فلا أجر لها بل عليها وزر، فتعين تأويله.

قال الحافظ في فتح الباري (٣٥٦/٣): «إنه فرّق بين المرأة والخادم بأن المرأة لها أن تتصرف في بيت زوجها بما ليس فيه إفساد للرضا بذلك في الغالب، بخلاف الخادم والخازن، ويدل على ذلك ما رواه المصنف من حديث همام عن أبي هريرة بلفظ «إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها من غير أمره فلها نصف أجره».

جاء في المجموع (٢٤٣/٦): «يجوز للمرأة أن تتصدق من بيت زوجها للسائل وغيره بما أذن فيه صريحًا، وبما لم يأذن فيه ولم ينه عنه إذا علمت رضاه به، وإن لم تعلم رضاه به فهو حرام. هكذا ذكر المسألة السرخسي وغيره من أصحابنا وغيرهم من العلماء، وهذا الحكم متعين وعليه تحمل الأحاديث الواردة في ذلك».

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

> **يجوز للمرأة أن تتصدق من بيت زوجها للسائل وغيره بما أذن فيه صريحًا، وبما لم يأذن فيه ولم ينه عنه إذا علمت رضاه به**

قيم تربوية في حياة المبشرين بالجنة

بقلم محمد عبد الحكيم القاضي، رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وبعدُ:

فعلى رأس الصحابة، والأمة كلها، يذكر عشرة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، جمعوا في جملتهم عناصر من الخير متعددة، وروافد من البر متنوعة، بحيث يصلح أن يكونوا معا نموذجًا لأمة فريدة متميزة. وقد أطلق على هؤلاء اسم «العشرة المبشرون بالجنة»: وذلك للحديث الصحيح المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي بشرهم بالجنة واحدًا واحدًا حين قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة... الحديث». (أخرجه أحمد، والترمذي، وغيرهما).

وقد شاع هذا الاسم حتى أصبح اصطلاحًا عند العامة والخاصة.

مبشرون آخرون:

ومع ما في ذيوع هذا (المصطلح) من دلالات تاريخية وتربوية ينبغي أن يفرد لها بحث يستكشف أعماقها، أقول: مع ذلك فقد غطى ذيوعه على بعض الأحاديث المفردة الأخرى التي تصرح بالبشارة بالجنة لآخرين من الصحابة، لهم ميزات خلقية خاصة جعلتهم حقيقين بهذه البشارة.

ولو ذهبنا نعد هؤلاء المبشرين ومناقبهم، لأعيانا الاستقصاء، فلعل في الإشارة إلى بعضهم هنا إيحاءً بما كانوا عليه من عظيم البر، وكبير القدر، وإيماءً إلى بعض الدروس العملية من القدوة لأمتنا في ظروفها الحضارية المليئة بالتحدي والمجابهة.

أم المؤمنين خديجة، رضي الله عنها:

فتبرز السيدة خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها أقدم أمهات المؤمنين، وأول الناس إسلامًا على الإطلاق، ومثال الزوجة الصالحة الأنيسة الودود، التي تقف عند الشدائد موقف الساعد والظهير، قال لها النبي صلى الله عليه وسلم يوم حراء: «قد خشيت على نفسي»، فأجابته بتأييد الوامق، وتأكيد الواثق: «كلا، فوالله لن يخزيك الله أبدًا: إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». (رواه البخاري).

إن مواقف خديجة من الدعوة لتحتاج إليها كل مسلمة، خصوصًا صاحبات الشرف والمنصب والحظوة، والمثقفات، وأزواج الدعاة إلى الله تعالى: فهي مع زوجها النبي صلى الله عليه وسلم خطوة بخطوة، لا تراعيه وحده، وإنما تحمل هم الدعوة إلى الله في مراحلها وأفرادها ووسائلها، حتى كانت وفاتها سببًا من أسباب طمع المشركين في تشديد الأذى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه، قال ابن إسحاق: «تتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلاك أبي طالب وخديجة، وكانت وزيرة صدق»، ولم يكتم النبي صلوات الله عليه إحساسه بفقدها، إذ قال لعائشة رضي الله عنها: «لا والله ما بدلني الله خيرًا منها: آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد».

ولقد كانت بشارتها بالجنة بشارة خاصة من رب العزة سبحانه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:

هذه خديجة أتتك، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب. (رواه البخاري).

والقصب، بفتحتين اللؤلؤ المجوف.

بلال بن رباح، رضي الله عنه:

«بم سبقتني إلى الجنة؟ دخلت الجنة فسمعت خشخشتك بين يدي!». قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال، وحاشا لبلال أن يسبق رسول الله إلى الجنة، ولكنها مواصلة البر بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال الحافظ ابن حجر: «وكأنه أشار إلى بقاء بلال على ما كان عليه في حال حياته واستمراره على قرب منزلته، وفيه منقبة عظيمة لبلال».

ووفاء بلال لرسول الله صلوات الله عليه يفوق الوصف، فضلاً عن وفائه لله ولدعوة الحق، التي كانت سببًا في شدة أذاه، حتى احتمل مالا يحتمله أحد، من التنكيل، والضرب، والتفنن في صنوف العذاب، قال محمد بن إسحاق: «...وكان صادق الإسلام، طاهر القلب، وكان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على ظهره...».

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «...وأما سائرهم (يعني باقي السابقين للإسلام) فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدرع الحديد، ثم صهروهم في الشمس، فما منهم أحد إلا واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان (يعني: وهو مقيد يزحف) فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد.

وقد أعتقه أبو بكر رضي الله عنه، كان لله وللإسلام أكثر وفاءً، فقد شهد بدرًا والمواقع، وفتح مكة، وأذن فوق الكعبة يوم الفتح، وكان عابدًا مجاهدًا، وكان بلال سيدًا، كما قال عمر بن الخطاب: «أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا». فالسيادة والنُبل ليسا بالنسب، وإنما بالانتماء للشرف والمجد وعلو الدرجات، ومن ثم فقد أنصف الحافظ الذهبي حين أدرجه في «سير أعلام النبلاء». وقال: «من السابقين الأولين الذين عُذبوا في الله، شهد بدرًا، وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم على التعيين بالجنة، وحديثه في الكتب».

سعد بن معاذ، رضي الله عنه:

وهو رجل الشدائد والمواقف والناصر في ساعات العسرة، عرف مصعب بن عمير والصحابة الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهله، وكان إسلامه فتحًا للإسلام ولقومه من الأوس، فأسلموا جميعًا.

وأول ما تلمح في سيرة سعد رضي الله عنه في الإسلام، هو مدى إفادته من مكانته وموقفه الاجتماعي في توسيع إمكانات الدعوة، وتمديد عطاءاتها. وهو ملمح يحتاجه كل صاحب منصب، أو رئاسة، أو زعامة: ها هو ذا في غزوة بدر وكان الأنصار قد بايعوا رسول الله في العقبة على منعه وحمايته في ديارهم، فلما عزم النبي صلوات الله عليه على الخروج استشارهم في جماعة من أصحابه ليتحسس ما عندهم، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشارهم ثانية، فأدرك سعد بن معاذ بحسه الصادق، وذكائه الصافي أنه إنما يريد الأنصار، وهنا ينطق الوفاء والولاء والمسئولية الرفيعة على لسان سعد «يا رسول الله: كأنك تعرض بنا؛ لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقًّا عليها ألا ينصروك إلا في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا أحب إلينا مما تركت، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك».

أخلاق السيادة وتبعاتها:

إن الذي يهزك في هذه الكلمات الناطقة بالرجولة الحقة، والولاء الخالص، ليس هو النبض الحماسي الذي ينطوي على إيمان عميق، وتضحية صادقة فقط، وإنما هو أن سعد بن معاذ لم يفكر أن ينتظر حتى يستشير الأوس بله الأنصار جميعا ليرى ما رأيهم في هذه القضية المصيرية بالنسبة لهم، خصوصًا وأن بنود العهد مع النبي الكريم لا

تشمل وجوب الدفاع عنه خارج حدود المدينة، وذلك أن منطق اللحظة فرض نفسه على سيد القوم، والعقل المؤمن هنا لا يرى من المروءة ومكارم الأخلاق أن يتبصر في حقوقه النظرية حول شمولية الدفاع أو محدوديته، وإنما يراها في حق المصطفى صلوات الله عليه واقعًا في تمديد العهد وتوسيع نطاق الدفاع عنه ومنعه.

ومواقف سعد بن معاذ التي تتسم بعبقرية السيادة كثيرة، إلا أننا تجتزئ منها هذا الموقف الذي أثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو موقفه من يهود بني قريظة وحكمه عليهم؛ وكان سعد رضي الله عنه يدعو الله. بعد جرحه في غزوة الخندق ألا يميته حتى يقر عينه من بني قريظة».

فلما كثرت خيانات اليهود لله ورسوله بالمدينة، وتقرر إنهاء جرائمهم وفسادهم، حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم.

وهنا يقع اختيار القائد الملهم من ربه على النائب المناسب لإصدار الحكم، وهو سعد بن معاذ، وهو يعلم أن بني قريظة هم موالي الأوس عشيرة سعد رضي الله عنه، ومن ثم فإن حكمه سيرضى عنه الأنصار خصوصًا الأوس ولن تستنكره اليهود. ثم هو يعرف من يكون سعد بن معاذ، الذي لا يحتاج إلى توصية إذا تعلق الأمر بنصرة الله رسوله.

وجاء سعد بن معاذ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار والأوس من حوله يستحثونه أن يحسن إلى بني قريظة في حكمه لأنهم مواليهم، وهو صامت، فلما أكثروا عليه، قال: «لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم». حتى بلغوا رسول الله، فأخبره أن القوم قد نزلوا على حكمه، قال سعد للأوس مستوثقًا: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم. قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء. (رواه البخاري).

أقول: بخ بخ!! هكذا تكون السيادة، تلك السيادة التي تتجافى ساعة نداء الحق عن كل علائق التحالفات والمعاهدات المؤقتة، وهذا الدرس موجه خصيصًا للسادة في كل زمان، خصوصًا هذا الزمان الذي دأبوا فيه على احترام مواثيق وتعاهدات نبذها أطرافها، أفلا كان موقف سعد بن معاذ منارة رشد وسراج اهتداء؟

ولكي يتأكد الجميع أن حكم سعد لم يكن به شبهة إجحاف، أو ذرة هوى، ينطق الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله، مؤيدًا هذا الحكم: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات». (رواه البخاري).

من أجل هذا وكثير على شاكلته من سيرة هذا السيد الفقيه الواعي لم يكن مستغربًا أن يخبر النبي أصحابه ومن بعدهم أن عرش الرحمن قد اهتز لموت سعد بن معاذ، ولا هو مستغرب أن يرى القائد الكريم أصحابه يتعجبون لحلة الحرير الرقيق فيقول لهم: «أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين».

وهذا هو جل ما قصدناه. والله من وراء القصد.

رحيل الشيخ محمد عبد الحكيم القاضي

بقلوب صابرة على قضاء الله تعالى، تلقينا خبر رحيل رجلٍ من أهل العلم، وممن كان لهم باعٌ كبيرٌ وجهود في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وهو من كُتّاب مجلة التوحيد السابقين، إنه فضيلة الشيخ محمد عبد الحكيم القاضي، رحمه الله، والذي تُوفي عن عُمر يناهز ٦٧ عامًا.

وله رحمه الله العديد من المؤلفات الدعوية، منها «موسوعة السنة والعلوم الإسلامية» في (١٠) مجلدات، و«اللباس والزينة»، و«موسوعة الصحاح»، وغيرها مما أثرى به المكتبة الإسلامية.

نسأل الله أن يجعل جهوده في موازين حسناته، وأن يرحمه رحمة واسعة، وانا لله وانا إليه راجعون.

رئيس التحرير

معركة اليرموك

الحلقة (١)

إعداد **عبد الرزاق السيد عيد**

الحمد لله وحده، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فحديثنا اليوم عن معركة من أهم المعارك في التاريخ العالمي، وليس في تاريخ المسلمين فحسب وبعون الله وتوفيقه نتناولها في المحاور الآتية:

أولا: أهمية هذه المعركة:

لقد اعتبر المؤرخون معركة اليرموك من أهم معارك التاريخ بين المسلمين والروم، وهي بالنسبة للمسلمين انتصار عظيم لهم على جحافل الروم الذين تجاوز عددهم مائتي ألف وأربعمائة، بينما لم يتجاوز جيش المسلمين أربعين ألفا، وهذا النصر المؤزر أدى-بفضل الله- إلى فتح دمشق ثم فلسطين ثم مصر وغيرهم، بينما تقهقر الرومان وانسحبوا من الشام بل فروا هاربين.

ثانيا: تاريخ المعركة:

نقل ابن كثير في البداية والنهاية اختلاف المؤرخين في تاريخ هذه المعركة فقال: (على ما ذكره سيف بن عمر كانت في جمادى الآخر من سنة ١٣هـ قبل فتح دمشق وتبعه على ذلك أبو جعفر بن جرير الطبري. أما الحافظ ابن عساكر فإنه نقل عن يزيد بن أبي عبيدة، والوليد بن لهيعة، والليث، وأبي معشر أنها كانت في سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق، وقال محمد بن إسحاق: كانت لخمس من رجب سنة خمس عشرة). انتهى من البداية والنهاية بتصرف يسير.

وتحقيق القول في تاريخ معركة اليرموك هو جمادى الآخرة في السنة الثالثة عشرة للهجرة للأسباب الآتية:

١) وقعت المعركة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وهو الذي وجَه الجيوش إلى الشام وأمر خالد بن الوليد أن يتوجه من العراق إلى الشام، وقلّده قيادة الجيش الإسلامي في الشام (القيادة العامة)، ومات أبو بكر رضي الله عنه قبل أن تصله أنباء انتصار المسلمين في اليرموك، وكانت وفاته رضي الله عنه في يوم الاثنين ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة.

٢) والسبب الثاني أن معركة أجنادين في الشام كانت تمهيدًا لمعركة اليرموك التي وقعت بعدها مباشرة، ومعركة أجنادين وقعت في جمادى الأولى سنة ١٣هـ.

٣) توجه المسلمون بعد اليرموك إلى دمشق،

وحاصروها من السابع عشر من جمادى الآخرة إلى العشرين من رجب سنة ١٣هـ على الراجح من أقوال المؤرخين، والله أعلم.

ويستفاد مما سبق ترجيح القول بأن معركة اليرموك كانت في جمادى الآخر سنة ١٣هـ، وانتهت بنصر لم يره الصديق رضي الله عنه قبل وفاته في معارك كان هو الذي أعدّ لها العدة ووجّه لها الجيوش، واختار القيادة، ووضع لها الخطط الاستراتيجية، وتابعها حتى آخر لحظة من حياته رضي الله عنه.

ثالثا: سبب تسميتها باليرموك:

قال دكتور محمد السيد الوكيل في كتابه «جولة في عصر الخلفاء» سميت المعركة بهذا الاسم نسبة إلى الوادي الذي وقعت فيه وهو وادي (اليرموك)، واليرموك نهر ينبع من جبال حوارن يجري قرب الحدود بين سوريا وفلسطين، وينحدر جنوبًا ليصب في غور الأردن، ثم في البحر الميت، وقبل أن يلتقي بنهر الأردن بمسافة تتراوح بين ثلاثين وأربعين كيلومترًا يوجد واد فسيح تحيطه من الجهات الثلاث جبال مرتفعة ويقع في الجهة اليسرى من اليرموك. اختار الروم الوادي لأنه المكان الذي يتسع لجيشهم الضخم، وأما المسلمون فقد عبروا النهر إلى الجهة اليمنى، وضربوا معسكرهم هناك في واد منبطح يقع الطريق المفتوح لجيش الروم وبذلك أغلقوا الطريق أمام الروم. اهـ.

> «ولأن الله تعالى ينصر المؤمنين برعب أعدائهم ربط الأعداء أنفسهم بالسلاسل.»

وقد استخلص عمرو بن العاص رضي الله عنه بخبرته القيادية وحسه القتالي من اختيار الروم هذا أول بشائر النصر فقال: «أبشروا أيها الناس! فقد حصرت والله الروم، وقلما جاء محصور بخير» وعمرو رضي الله عنه مُحقّ في استنتاجه هذا؛ فإن الروم باختيارهم هذا حصروا أنفسهم بين جبال شاهقة الارتفاع وبين نهر عميق وبين قوات المسلمين التي أغلقت عليهم الطريق الوحيد فليس أمامهم إلا الموت أو الهرب إذا أذن لهم المسلمون به، ولعل الروم أعماهم الزهو والغرور بقوتهم فلم يؤمنوا طريق عودتهم وتركوه وهو المخرج الوحيد لهم من ذلك الوادي العميق، أقول: تركوه حتى استولى عليه المسلمون فلا يستطيعون الخروج إلا بإذن من المسلمين، ولست أدري هل غفلوا عن ذلك زهوًا بقوتهم أم اضطروا؛ رعبًا من المسلمين، فصرفهم الرعب الذي في قلوبهم عن الحيطة والحذر.

ومما يؤكد أن الرعب الذي قذفه الله في قلوبهم من المسلمين هو الذي أنساهم أنفسهم هو ما فعله القادة بالجنود فقد ربط قادة الروم جنودهم بالسلاسل كل عشرة في سلسلة واحدة من أجل ألا يهربوا أثناء المعركة فرادى، فلما اشتد القتال استطاع المسلمون أن يسحبوهم للقتال إلى قرب الوادي وكلما يُقتل من الروم جنديّ أو يقع في الوادي يسحب معه البقية المربوطة معه فيسقطوا جميعًا فيقتل آخرهم أولهم.

قال الذهبي: (وكانت الروم قد سلسلوا أنفسهم الخمسة أو الستة أو أكثر في سلسلة واحدة كي لا يفروا؛ فلما هزمهم الله عز وجل جعل الواحد يقع في نهر اليرموك حتى ردموا الوادي واستووا فيما قيل بحافتيه فداستهم الخيل وهلك خلق لا يحصون). (تاريخ الإسلام ج٣، ص ١٣٩-١٤٠).

رابعا: أسباب المعركة:

لم يتوقف تحرش الروم واستفزازهم للمسلمين منذ خرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك وقبل تبوك كانت مؤتة التي عقد

فيها النبي صلى الله عليه وسلم اللواء لثلاثة من القادة جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة فاستشهدوا جميعًا، ثم كان خالد بن الوليد الذي وفقه الله واستطاع أن ينسحب بجيش المسلمين ويحفظ البقية الباقية منه، وقبل موت النبي صلى الله عليه وسلم عقد اللواء لأسامة بن زيد كي يذهب إلى مؤتة مرة أخرى؛ ليقاتل الروم على ما قاتل عليه أبوه من قبل.

والرسول صلى الله عليه وسلم بهذا يضع القاعدة والأساس في نشر الإسلام؛ لأن المسلم يحمل بين جوانحه عقيدة صحيحة بمقتضاها يعلم أن الله سبحانه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله؛ فالدعوة تتصف بالعموم والشمول، عالمية لا تعترف بحدود أو وطن، فمن الضروري إذن أن يحملوا دينهم إلى كل أهل الأرض عربهم وعجمهم؛ لأن الله ختم رسالات السماء بنبيهم فلا نبي بعده ولا كتاب بعد القرآن، والدعوة موجهة إلى جميع أهل الأرض (وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ) (سورة آل عمران: ٢٠). والذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى، والأميون هم ما عدا أهل الكتاب من جميع الملل؛ أي من ليس عندهم كتاب أنزل عليهم أو رسول أرسل إليهم مثل مشركي العرب وغيرهم، وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك امتثالاً لأمر الله أرسل ووجه الكتب وبعث البعوث والقادة إلى جميع أهل الأرض وغزا بنفسه في حياته لتبليغ الدعوة وإزالة العوائق التي تعترضها، وأبو بكر رضي الله عنه هو أكثر الناس اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته صلى الله عليه وسلم، ولذلك أصر على إنفاذ جيش أسامة إلى بلاد الروم والذي عقد لواءه النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته. ثم بعد أن خمدت فتنة المرتدين يمم المسلمون نحو العراق ثم الشام لتبليغ دعوة الإسلام ومن ذلك معركة اليرموك.

خامسًا: عرض مختصر لأحداث المعركة:

وهذا العرض المجمل أنقله لكم من كتاب للدكتور جميل المصري بعنوان «تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن النبي والخلفاء الراشدين» وهو بدوره قد اعتمد أمهات المراجع وعزا إليها في التاريخ مثل الطبري والكامل والبداية والنهاية وغيرهم. يقول تحت عنوان: «موقعة اليرموك».

١) حاول هرقل قيصر الروم أن يرمي بثقل الروم كله في معركة فاصلة تحد من اندفاع المسلمين في بلاد

> لأن المسلم يحمل بين جوانحه عقيدة صحيحة بمقتضاها يعلم أن الله سبحانه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

الشام فجمع ٢٤٠ ألفًا في رواية وفي رواية أخرى ٢٠٠ ألفًا. وكانت هذه الكتلة العسكرية الضخمة تتألف من مجموعات عسكرية من الروس والسلاف والفرنجة والروم واليونان والجورجيين والأرمن ومعهم العرب المتنصرة وعليهم جبلة بن الأيهم الغساني، ومثلت هذه المعركة حربًا إسلامية صليبية؛ إذ أرسل جميع النصارى الذين يعيشون في كنف الإمبراطورية البيزنطية مقاتلين ليحاربوا المد الإسلامي بروح من الحرب الصليبية وقاد هذا الجيش باهان أوماهان الأرمني.

٢) وقد اشترك البطارقة والقساوسة ليحرّضوا الروم على القتال، وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه كلما سمع القساوسة والرهبان يقول: اللهم زلزل أقدامهم وأرعب قلوبهم وأنزل علينا السكينة وألزمنا التقوى وحبّب إلينا اللقاء وأرضنا بالقضاء.

٣) أدرك المسلمون أهمية معركة اليرموك فألقوا فيها بكل ثقلهم وبلغت قواتهم أربعين ألفًا وعسكروا في سهل فسيح بوادي حوران، واشترك مع المسلمين عدد من نسائهم منهم هند بنت عتبة، وجويرية بنت أبي سفيان، وخولة بنت الأزور.

> وحدة المسلمين وإيمانهم العميق بربهم سر تفوقهم على أعدائهم.

٤) اقترح خالد بن الوليد رضي الله عنه وحدة القيادة الإسلامية (القيادة العامة) أو مجلس الحرب بالمصطلح الحديث، وأن يتناوب القادة القيادة العامة فوافق القادة وأمروه على أنفسهم فوزع الجيش إلى ستة وثلاثين كردوسًا أي فرقة، أو إلى أربعين، كل فرقة ألف رجل عليهم أمير، ثم قسم هذه الكراديس أو الفرق إلى ثلاثة أقسام ميمنة وميسرة وقلب، وأخذ أبو سفيان يقف على الكراديس ويقص عليهم ويشجّعهم على القتال.

٥) اختار خالد رضي الله عنه يومًا قائظًا من جمادى الآخرة، عصفت فيه ريح شديدة عاتية ساقت معها الرمال فانعقدت في السماء تحجب الرؤية فأنشب القتال وحقق المسلمون -بفضل الله- نصرًا حاسمًا مؤزرًا أبادوا فيه العدد الأعظم من جيش البيزنطيين المقيد بالسلاسل، وفقد المسلمون ثلاثة آلاف رجل من بينهم عكرمة بن أبي جهل، الذي أبلى بلاءً حسنًا، وضرار بن الأزور.

٦) وكانت نتيجة معركة اليرموك تقرير مصير بلاد الشام بأجمعها فقد أنهار سلطان الروم على بلاد الشام وأصبح المسلمون يتقدمون من نصر إلى نصر ولما بلغ هرقل ما أصاب جيشه من هزيمة ساحقة رحل إلى القسطنطينية قائلاً: (عليك سورية ونعم البلد هذا للعدو). (تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن النبي والخلفاء الراشدين من ص ٢٩٨: ٣٠٠ مع تصرف يسير).

وكنت أريد أن أكتفي بهذا المقال حول هذه المعركة، لكنك أيها القارئ الكريم ترى معي أن معركة بهذا الحجم وهذه الأهمية تحتاج منا إلى وقفة أخرى نستجلي فيها المواقف المشرقة والمشاهد الإيمانية العالية لأصحاب الهمم الكبيرة للجيل الفريد لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ونستخلص بعض الدروس والفوائد التي نحن بأمس الحاجة إليها في واقعنا المعاصر، ونحاول أن نستكشف المقولة الخالدة (ما أشبه الليلة بالبارحة!)، ولكن بصور مختلفة وأشخاص جدد. فإلى لقاء، نسأل الله الثبات على دينه حتى نلقاه.

بحارُ الفتن وسُفُنُ النَّجاة

الحلقة (٣)

فِتنَةُ النِّسَاءِ

إعداد
د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن فتنة النساء من أشد الفتن؛ فهي فتنة تأخذ بلب الرَّجل الحازم، فما بالك بغيره ممن طاش عقله، وخف فهمه، وغلبته شهوته وطغت عليه سكرته ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (سورة الحجر: ٧٢).

من أجل هذا نهى الله النساء عن مجرد الخضوع بالقول فضلاً عما فوق ذلك فقال تعالى: « يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ » (الأحزاب: ٣٢).

قال ابن القيم: «أمرهن أن لا يلنَّ في كلامهن، كما تلين المرأة المعطية الليان في منطقها، فيطمع الذي في قلبه مرض الشهوة، ومع ذلك فلا يخشنَّ في القول بحيث يلتحق بالفحش، بل يقلن قولا معروفا».

وعنْ أبي سعيد الخُدْريِّ، قال: خرج رسُولُ الله صلَّى الله علَيْه وَسلَّمَ في أَضْحى أوْ فطر إلى المُصلَّى، فمرَّ على النِّساء، فقال: «يا معْشرَ النِّساء تصدَّقْنَ فإني أُريتُكنَّ أكْثر أهْل النَّار» فقُلْنَ: وبمَ يا رسُول الله؟ قال: «تكْثرْن اللَّعْن، وتكْفُرْن العشير، ما رأيْتُ منْ ناقصات عقْل ودين أذْهبَ للُبِّ الرَّجُل الحازم منْ إحْداكُنَّ»، قُلْنَ: وما نقْصانُ ديننا وعقْلنا يا رسُول الله؟

قال: «أليْسَ شهادةُ المرْأة مثْل نصْف شهادة الرَّجُل» قُلْنَ: بلى، قال: «فذلك منْ نُقْصان عقْلها، أليْس إذا حاضتْ لمْ تُصلِّ ولمْ تصُمْ» قُلْنَ: بلى، قال: «فذلك منْ نُقْصان دينها» (رواه البخاري ٣٠٤، واللفظ له، ومسلم ٧٩).

قال ابن حجر: «قوْلُهُ: «منْ ناقصات»... يظْهرُ لي أنَّ ذلك منْ جُمْلة أسْباب كوْنهنَّ أكْثر أهْل النَّار لأنهنَّ إذا كُنَّ سببًا لإذْهاب عقْل الرَّجل الحازم حتَّى يفْعل أوْ يقُول ما لا ينْبغي فقدْ شاركْنه في الإثْم وزدْن عليْه. قوْلُه «أذْهبَ» أي أشدَّ إذْهابًا واللُّبُّ أخصُّ من العقْل وهُو الخالصُ منْهُ والحازم الضَّابط لأمْره وهذه مُبالغةٌ في وصْفهنَّ بذلك لأنَّ الضَّابط لأمْره إذا كان ينْقادُ لهُنَّ فغيْرُ الضَّابط أوْلى» (فتح الباري: ١/ ٤٨٤ (٣٠٤).

ثم قال: «وليْس المقْصُودُ بذكْر النَّقْص في النِّساء لوْمهُنَّ على ذلك لأنَّهُ منْ أصْل الخلْقة لكنَّ التَّنْبيه على ذلك تحذيرا من الافتتان بهنَّ ولهذا رتَّب العذاب على ما ذكر من الكُفْران وغيْره لا على النَّقْص وليْس نقْص الدين مُنْحصرًا فيما يحْصُل به الاثْم بل في أعمَّ منْ ذلك قاله النَّوويُّ؛ لأنَّهُ أمْرٌ نسْبيٌّ فالْكامل مثلاً ناقصٌ عن الأكْمل ومنْ ذلك الْحائضُ لا تأْثمُ بترْك الصَّلاة زمن الْحيْض لكنَّها

ناقصةٌ عن المصلي» (فتح الباري: ١/ ٤٨٥).

ومَنْ أراد أنْ يأخذ لنفسه العظة فلينظرْ إلى كلّ من ابتُلي بهذه الفتنة، واصطلى بنارها، واكتوى بأوارها فإنّه سيخشى على نفسه معرّة الدُّنيا وفضيحة الآخرة.

لعَمْرُكَ ما في المَوْتِ عارٌ على الفتى
إذا لم تُصبْه في الحياة المعايرُ

وكفاهُ بذلك ناهيًا أنْ يرى العبر والعظات له في غيره ونعوذُ بالله من الخذلان.

كما قال الشاعرُ:

كفى زاجرٌ للمَرْء أيّامُ دهْرِه
تروحُ لهُ بالواعظات وتغتدي

وإذا كان لا مفر من أن يُمتحن الكثيرون بفتنة النّساء إن لم يكن كل الناس، فإن تقوى هذه الفتنة باتقائها واجتنابها والبعض عن مواطنها.

ففي الصّحيح قال صلى الله عليه وسلم: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»، وفي صحيح مسلم عنه قال: «اتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». إن فتنة النساء من حبائل الشيطان التي يصيد بها من وقع في شركها.

عنْ عبْد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان» (رواه الترمذي ١١٧٣).

قال المباركفوري: (فإذا خرجت استشرفها الشيطان) أي زينها في نظر الرّجال وقيل أي نظر إليها ليغويها ويغوي بها.

والأصلُ في الاستشراف رفعُ البصر للنّظر إلى الشيء وبسط الكف فوق الحاجب والمعنى أن المرأة يُستقبحُ بروزُها وظهورها فإذا خرجت أمعن النّظر إليها ليغويها بغيرها ويغوي غيرها بها ليوقعهما أو أحدهما في الفتنة أو يُريدُ بالشيطان شيطان الإنس من أهل الفسق سمّاه به على التشبيه. اهـ (تحفة الأحوذي: ٤/ ٢٨٣).

فاحذر هذه الفتنة ولا تكن على وثيقة منها فإنها أشد الفتن محنة ولهذا كثرت وصايا السلف بالحذر منها.

قال ميمونُ بن مهران: «ثلاثٌ لا تبلُونّ نفسك بهنّ: لا تدخل على السُّلطان، وإن قلت: آمرُه بطاعة الله، ولا تُصغينّ بسمعك إلى هوى، فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه، ولا تدخل على امرأة، ولو قلت: أعلمها كتاب الله. (سير أعلام النبلاء: ٥/ ٧٧).

وقال أيضًا: «لأنْ أُؤتمن على بيت مال، أحبُّ إليّ منْ أنْ أُؤتمنَ على امرأة». (السير: ٥/ ٧٧).

وعنْ عطاء، قال: لو ائتُمنْتُ على بيْت مال، لكُنْتُ أمينًا، ولا آمنُ نفسي على أمة شوْهاء.

قلت (الذهبي): صدق-رحمه الله- ففي الحديث: (ألا لا يخلونّ رجل بامرأة، فإنّ ثالثهما الشيطان). (السير: ٥/ ٨٧ - ٨٨).

لقد قعد الشيطان بفتنة النساء للناس رصدًا بكل مرصد ونصب لهم شركًا منها بكل ريع وأجلب عليهم بخيله ورجله وتحقق له ما تغياه وتمناه فأصبحوا إلا قليلاً ممن عصم الله تعالى مفتونين بها حتى صدق إبليس ظنه على الأمة بسبب هذه الفتنة فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين، فاللهم لا تقطع عنا حبل عصمتك فقد تمسكنا بعروتك.

لقد كان الرجل من السلف يبلغ من السن مبلغًا قد لا يصلح فيه للنساء ومع هذا يخاف على نفسه تلك الفتنة.

قال سُفيانُ بنُ عُيينة: عنْ عليّ بن زيْد، عنْ سعيد بن المسيّب، قال: قال لنا سعيدٌ- وهو ابنُ أربع وثمانين سنةً، وقد ذهبتْ إحدى عينيه، وهو يعشو بالأخرى-: ما شيءٌ أخوفُ عندي من النّساء. (السير: ٤/ ٢٣٧).

ولولا أن محنة فتنة النساء من أشد الفتن ما قص الله علينا خبر نبيه الكريم يوسف عليه السلام.

قال تعالى: (وراودتْهُ التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالت هيْت لك قال معاذ الله إنّه ربّي أحسن مثْواي إنّه لا يُفلحُ الظّالمون (٢٣) ولقدْ همّتْ به وهمّ بها لولا أنْ رأى بُرهان ربّه كذلك لنصرف عنْهُ السُّوء والفحْشاء إنّهُ منْ عبادنا المُخلصين (٢٤) واستبقا الباب وقدّتْ قميصهُ منْ دُبر وألفيا سيّدها لدى الباب قالتْ ما جزاءُ منْ أراد بأهلك سوءًا إلاّ أنْ يُسجن أوْ عذابٌ أليمٌ (٢٥) قال هي راودتْني عنْ نفسي وشهد شاهدٌ منْ أهلها إنْ كان قميصُهُ قُدّ منْ قُبُل فصدقتْ وهُو من الكاذبين (٢٦) وإنْ كان قميصُهُ قُدّ منْ دُبُر فكذبتْ وهُو من الصّادقين (٢٧) فلمّا رأى قميصهُ قُدّ منْ دُبُر قال إنّهُ منْ كيْدكُنّ إنّ كيْدكُنّ عظيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أعْرضْ عنْ هذا واسْتغْفري لذنْبك إنّك كُنْت من الْخاطئين) (يوسف: ٢٣-٢٩).

قال ابن كثير: «وراودتْهُ التي هو في بيْتها عنْ نفسه وغلّقت الأبْواب وقالتْ هيْت لك قال معاذ الله إنّهُ ربّي أحْسن مثْواي إنّهُ لا يُفلحُ الظّالمون»: يخبرُ تعالى عن امرأة العزيز التي كان يُوسفُ في بيْتها بمصر، وقدْ أوْصاها زوْجها به وبإكرامه «وراودتْهُ التي هو في بيْتها عنْ نفسه» أي: حاولتْهُ على نفسه،

وَدَعَتْهُ إليها، وَذلكَ أَنَّها أَحبَّتْهُ حُبًّا شَديدًا لجماله وَحُسْنه وَبهائه. فحملها ذلك على أَنْ تجمَّلتْ لَه، وَغلَّقتْ عليْه الأَبْواب، ودعَتْه إلى نَفْسها. «وقالتْ هيْتَ لكَ» فامْتنع من ذلك أشد الامتناع، و«قال معاذ الله إنَّه ربِّي أحْسنَ مثْوايَ»، وكانُوا يُطلقُون «الرَّبَّ» على السَّيِّد والْكبير، أيْ: إنَّ بعْلك ربِّي أَحْسنَ مثْوايَ أيْ: منْزلي وأَحْسنَ إلي، فلا أقابله بالفاحشة في أهْله. «إنَّهُ لا يُفْلحُ الظَّالمون» قال ذلكَ مُجاهدٌ، والسُّدِّيُّ، ومُحمَّدُ بْنُ إسْحاق، وغَيْرُهُمْ.

يُخْبرُ تعالى عنْ حَالهمَا حينَ خرَجا يَسْتَبقان إلى الْبَاب، يُوسُفُ هاربٌ، والمرْأةُ تطْلُبُهُ ليرْجع إلى الْبيْت، فلَحقَتْهُ في أثْناء ذلك، فأمْسكتْ بقَميصه منْ ورائه فقدَّته قدًّا فظيعًا، يُقال: إنَّهُ سقط عنْهُ، واسْتمرَّ يُوسُفُ هاربًا ذاهبًا، وهيَ في إثْره، فألْفيا سيِّدَها- وهُو زوْجُهَا-عنْدَ الْبَاب، فعنْد ذلك خرجتْ ممَّا هيَ فيه بمكْرها وكيْدها، وقَالتْ لزوْجها مُتنصِّلةً وقاذفةً يُوسُفَ بدَائها: «ما جَزاءُ منْ أراد بأهْلك سُوءًا» أيْ: فاحشةً، «إلا أنْ يُسْجنَ» أيْ: يُحْبسَ، «أوْ عذابٌ أليمٌ» أيْ: يُضْربَ ضَرْبًا شَديدًا مُوجعًا. فعنْد ذلك انْتصر يُوسُفُ، عَليْه السَّلامُ، بالْحقِّ، وتَبْرَّأَ ممَّا رمتْهُ به من الْخيَانَة، وقَالَ بارًّا صادقًا «هيَ راودتْني عنْ نفْسي» وذكَر أنَّهَا اتَّبعتْهُ تجْذبُهُ إليْها حتَّى قدَّتْ قميصَه، «وشَهد شَاهدٌ منْ أهْلهَا إنْ كَانَ قَميصُهُ قُدَّ منْ قُبُل» أيْ: منْ قُدَّامه، «فصدقَتْ» أيْ: في قَوْلهَا إنَّهُ أرادها علَى نفْسهَا، لأنَّهُ يكُونُ لمَّا دَعاها وأبَتْ عليْه دفعتْهُ في صدْره، فقدَّتْ قَميصهُ، فَيَصحُّ ما قالتْ: «وإنْ كانَ قَميصُهُ قُدَّ منْ دُبُر فكذبَتْ وهُوَ منَ الصَّادقينَ» وَذلكَ يَكُونُ كمَا وَقعَ لمَّا هربَ منْهَا، وتطلَّبتْهُ أمْسكتْ بقَميصه منْ وَرائه لتَرُدَّهُ إليْهَا، فقَدَّتْ قَميصَهُ منْ وَرائه. اهـ. (تفسير ابن كثير باختصار: ٣٧٩/٣ - ٣٨٣).

إن الشيطان يعد فتنة النساء مصيدة لكل الناس لا سيما من أيس منه لأنه يعدها من أعظم مصايده وأحكمها صيدًا.

قال سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَةَ: عَنْ عليٍّ بن زَيْد، عَنْ سَعيْد بن المُسَيَّب، قَال: «مَا أيسَ الشَّيْطانُ منْ شَيْءٍ إلاَّ أتَاهُ منْ قبَل النِّسَاء». (السير:٤/ ٢٣٧).

نَسأل الله السلامة والعافية، والحمد لله رب العالمين.

مؤلفات د. عماد عيسى

المفتش بوزارة الأوقاف

متوفرة في معرض القاهرة الدولي للكتاب

في الفترة من ٢٢ يناير إلى ٤ فبراير ٢٠٢٠

صالة ٤ - جناح B٢٦

CAIRO
دار اللؤلؤة
بقواطع الإسلام
01007868983
01015100660
01007711665
صالة 4 جناح رقم (B 26)

CAIRO
دار اللؤلؤة
الجهاد
الوليجة في مناقب
خديجة
01007868983
01015100660
01007711665
صالة 4 جناح رقم (B 26)

واحة

من نور كتاب الله

الخلاف والفرقة تذهب قوة المسلمين

قال الله تعالى: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (الأنفال: ٤٦).

من دلائل النبوة

الجذع يحنُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم

عن جابر- رضي الله عنه- قال: «كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل، فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع له المنبرُ وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار، حتى جاء النبيُّ صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت» (صحيح البخاري ٣٥٨٥).

والعشار: هي النوق الحوامل.

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت في صلاة الغداة حتى فارق الدنيا». منكر. والصحيح كما في حديث أبي هريرة قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقنت في صلاة الصبح إلا أن يدعو لقوم، أو على قوم» (سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني).

من أقوال آل البيت عن الصحابة

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: «ولينا أبو بكر خير خليفة، أرحمه بنا، وأحناه علينا» (الشريعة للآجري).

من حكمة الشعر

وإذا أظهرت شيئًا حسنًا... فليكن أحسن منه ما تُسر

فمُسِرّ الخير موسومٌ به... ومُسِرّ الشرّ موسومٌ بِشرّ

(العقد الفريد)

التوحيد

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصبر على جور الأمراء

عن ابن عبَاس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من رأى من أميره شيئًا يكْرهُهُ فلْيصْبرْ، فإنّه من فارقَ الجماعةَ شبْرًا، فمات، فميتةٌ جاهليّةٌ» (صحيح مسلم ١٨٤٩).

تاويلات فاسدة

قولهم: في قوله تعالى: «الرّحْمنُ على العرْشِ استوى» (طه:٥). يقولون: «استوى»: أي استولى، والعلة من هذا التأويل الفاسد نفي علو الله سبحانه وتعالى. والصحيح: «استوى» أي: علا وارتفع، فهو سبحانه وتعالى فوق عرشه بائنٌ من خلقه.

من أقوال السلف

قال الشعبي: «إنما هلك مَن كان قبلكم حين تشعبت بهم السُبل وحادوا عن الطريق، فتركوا الآثار وقالوا في الدين برأيهم فضَلُوا وأضلوا» (جامع بيان العلم).

حكم ومواعظ

قال لقمان الحكيم لابنه: «احذر واحدة هي أهلٌ للحذَر. قال: وما هي؟ قال: إيَّاك أن تُريَ الناسَ أنَك تخْشى الله وقلبك فاجر» (العقد الفريد).

من معاني الأحاديث

«أبغضكم إليّ الثرثارون المتفيهقون». هم الذين يُكثرون الكلام تكلفًا وخروجًا عن الحق. والثرثرة: كثرة الكلام وترديده. (النهاية لابن الأثير).

أثر السياق في فهم النص

(١٢١)

حجاب المرأة المسلمة

(٣١)

إعداد/ د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: نواصل بفضل الله تعالى الحديث حول حجاب المرأة- الدليل والاستدلال- وقد انتهيت- بفضل الله تعالى- من أدلة القرآن الكريم ثم انتقلت إلى أدلة السنة ووصلت إلى الدليل الخامس والثلاثين:

الدليل الخامس والثلاثون:

عن أنس رضى الله عنه قال: دخلت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه- أمة قد كان يعرفها لبعض المهاجرين أو الأنصار وعليها جلباب متقنعة به، فسألها: عتقت؟ قالت: لا. قال: فما بال الجلباب؟ضعيه عن رأسك. إنما الجلباب على الحرائر من نساء المؤمنين، فتلكأت فقام إليها بالدرة، فضرب رأسها حتى ألقته عن رأسها. (مصنف ابن أبى شيبة ٢٣١/٢، صححه الحافظ فى الدراية ١٢٤/١، وقال الألبانى: وهذا إسناد جيد، انظر جلباب المرأة المسلمة ص٢٩).

وله رواية أخرجها عبد الرزاق فى المصنف عن أنس رضى الله عنه: رأى عمر أمة لنا متقنعة فضربها، وقال: لا تشبهى بالحرائر. (قال ابن حجر إسناده صحيح، وكذلك صححه الألبانى، انظر السابق).

وقد احتج بأثر عمر رضى الله عنه من قال بوجوب النقاب، وذلك لأن عمر رأى الأمة متقنعة (أى مغطية وجهها) فنهاها عن تغطية وجهها حتى لا تتشبه بالحرائر من النساء. يقول الألبانى: ووجه الاستدلال بهذا الأثر أن عمر رضى الله عنه عرف هذه الأمة مع أنها كانت متقنعة بالجلباب، أى متغطية به، وذلك يعنى بكل وضوح أن وجهها كان ظاهرا، وإلا لم يعرفها. وإذ الأمر كذلك فقوله رضى الله عنه: إنما الجلباب على الحرائر، دليل واضح جدا أن الجلباب ليس من شرطه عند عمر أن يغطى الوجه، فلو أن النساء- كل النساء-كن فى العهد الأول يسترن وجوههن بالجلابيب، ما قال عمر رضى الله عنه ما قال (انظر جلباب المرأة المسلمة ص٩٩).

قلت: قد يثار سؤال، كيف عرفها عمر رضى الله عنه إذا كانت قد غطت وجهها على اعتبار أن القناع هو النقاب هل سأل عنها؟ الرواية تقول إنه كان يعرفها، هل عرفها بأمر آخر، ربما، لكن يبقى هذا على الاحتمال، أم أنه عرفها لأنها كانت كاشفة عن وجهها، أو عرفها بهيئتها، كما عرف سودة رضى الله عنها عندما خرجت وهى منتقبة لبعض حاجتها.

لكن هل القناع هو غطاء الوجه (النقاب)؟. سبق

أن ذكرت أقوال العلماء في ذلك- في مقالة الشهر الماضي فارجع إليها.

مسألة: هل نفهم من ذلك الأثر أن الأمة يجوز لها أن تتبرج؟

يقول ابن حزم: معترضا على أقوال بعض المفسرين فى التفرقة بين الحرة والأمة فى الملابس: وأما الفرق بين الحرة والأمة، فدين الله واحد والخلقة والطبيعة واحدة، كل ذلك فى الحرائر والإماء سواء، حتى يأتى نص فى الفرق بينهما فى شيء فيوقف عنده.

قال: وقد ذهب بعض من وهل فى قوله الله تعالى (يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلايؤذين) إلى أنه إنما أمر الله تعالى بذلك لأن الفساق كانوا يتعرضون للنساء للفسق، فأمر الحرائر بأن يلبسن الجلابيب ليعرف الفساق أنهن حرائر فلا يعترضوهن... ونحن نبرأ من هذا التفسير الفاسد الذي هو إما زلة عالم ووهلة فاضل عاقل، أو افتراء كاذب فاسق، لأن فيه أن الله تعالى أطلق الفساق على أعراض إماء المسلمين، وهذه مصيبة الأبد، وما اختلف اثنان من أهل الإسلام فى أن تحريم الزنا بالحرة كتحريمه بالأمة، وان الحد على الزانى بالحرة كالحد على الزانى بالأمة، ولافرق، وأن تعرض الحرة فى التحريم كتعرض الأمة ولافرق، ولهذا وشبهه وجب أن لايقبل قول أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بأن يسنده إليه عليه السلام. (انظر: المحلى ٢/ ٢٤٨، ٢٤٩).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وليس فى الكتاب والسنة إباحة النظر إلى عامة الاماء، ولاترك احتجابهن وابداء زينتهن، ولكن القرآن لم يأمرهن بما أمر به الحرائر، والسنة فرقت بالفعل بينهن وبين الحرائر، ولم تفرق بينهن وبين الحرائر بلفظ عام، بل كانت عادة المؤمنين أن تحتجب منهم الحرائر دون الإماء... ثم قال: فإذا كان فى ظهور الأمة والنظر إليها فتنة وجب المنع من ذلك. (انظر حجاب المرأة ولباسها فى الصلاة ص٣٨-٣٩).

وقد أورد الشيخ الألبانى رواية ابن سعد فى (الطبقات): أخبرنا محمد بن عمر ابن أبى سبرة عن أبى صخر عن ابن كعب القرظى، قال: كان رجل من المنافقين يتعرض لنساء المؤمنين يؤذيهن، فإذا قيل له؟ قال كنت أحسبها أمة فأمرهن الله أن يخالفن زى الإماء ويدنين عليهن من جلابيبهن. وقال الألبانى: لا يصح، ففى سنده ابن أبى سبرة، وهو ضعيف جدا، وكلك محمد بن عمر (الواقدى) وهو متروك. ثم قال: وفى معنى هذه الرواية روايات أخرى أوردها السيوطى فى الدر المنثور) وبعضها عند ابن جرير وغيره، وكلها مرسلة لا تصح، لأن منتهاها إلى ابن مالك وأبى صالح والكلبى ومعاوية بن قرة والحسن البصرى، ولم يأت شئ منها مسندا فلا يحتج بها، لاسيما وظاهرها مما لا تقبله الشريعة المطهرة، ولا العقول النيرة، لأنها توهم أن الله تعالى أقر إماء المسلمين- وفيهن مسلمات قطعا- على حالهن من ترك التستر ولم يأمرهن بالجلباب ليدفعن به إيذاء المنافقين لهن. ومن العجائب أن يغتر بعض المفسرين بهذه الروايات الضعيفة فيذهبوا بسببها إلى تقييد قوله تعالى: (ونساء المؤمنين) بالحرائر دون الإماء، وبنوا على ذلك أنه لا يجب على الأمة ما يجب على الحرة من ستر الرأس والشعر، بل بالغ بعض المذاهب فذكر أن عورتها مثل عورة الرجل: من السرة إلى الركبة، وقالوا: فيجوز للأجنبى النظر إلى شعر الأمة وذراعها وساقها وصدرها وثديها. وهذا مع أنه لا دليل عليه من كتاب أو سنة مخالف لعموم قوله تعالى: (ونساء المؤمنين)، ثم نقل قول أبى حيان الأندلسى فى تفسيره (البحر المحيط): والظاهر أن قوله تعالى (ونساء المؤمنين) يشمل الحرائر والإماء، والفتنة بالإماء أكثر، لكثرة تصرفهن بخلاف الحرائر، فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح. (انظر جلباب المرأة المسلمة للألبانى ص٩٠-٩٦).

وللحديث بقية

والحمد لله رب العالمين.

تهنئة واجبة

في الجامعة الإسلامية العالمية- المكتب التمثيلي لجامعة التضامن الفرنسية العربية التابعة لوزارة التعليم بالنيجر- الدراسات العليا تمت مناقشة رسالة الدكتوراه، والتي كانت بعنوان: «منهج القرآن الكريم وتأسيس المجتمع المسلم»، والمقدمة من الباحث **جمال عبد الرحمن محمد إسماعيل**، عضو اللجنة العلمية بمجلة التوحيد، وعضو مجلس الإدارة، وقد تكونت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة من:

أ.د محمد أبو هاشم التوري، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر، مشرفًا ورئيسًا.

أ.د أحمد محمد الشرقاوي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن، جامعة الأزهر، عضوًا مناقشًا.

أ.د عبد الوهاب محمد عبد الله سليم، أستاذ التفسير وعلوم القرآن، جامعة الأزهر، عضوًا مناقشًا.

وقد مُنح الباحث درجة الدكتوراه بتقدير امتياز مع التوصية بطبع الرسالة وتوزيعها مع الجامعة.

وأسرة مجلة التوحيد واللجنة العلمية وأعضاء مجلس الإدارة يتقدمون لعضوي اللجنة بخالص التهاني والتبريكات، ومزيدًا من التقدم والرقي.

عنهم / رئيس التحرير

تهنئة واجبة

وبنفس الجامعة قسم الشريعة «أصول الفقه».

تمت مناقشة رسالة الدكتوراه، والتي كانت بعنوان: «اللُّمَع في مذهب الإمام الشافعي في أصول الفقه»، والمقدمة من الباحث/ **محمد عبد العزيز السيد**، عضو اللجنة العلمية بمجلة التوحيد، وعضو مجلس الإدارة بأنصار السنة.

وقد تكونت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة من:

١- **أ.د أحمد منصور سبالك**، أستاذ الشريعة، مشرفًا ورئيسًا.

٢- **أ.د محمد مصطفى رمضان**، أستاذ أصول الفقه المشارك بجامعتي الأزهر والإمام محمد بن سعود، عضوًا مناقشًا.

٣- **أ.د عبد السلام عبد الفتاح العتيق**، أستاذ مشارك أصول الفقه بجامعة الأزهر، عضوًا مناقشًا.

وقد مُنح الباحث درجة الدكتوراه بتقدير امتياز مع التوصية بطبع الرسالة وتوزيعها على الجامعات.

وأسرة مجلة التوحيد واللجنة العلمية وأعضاء مجلس الإدارة يتقدمون لعضوي اللجنة بخالص التهاني والتبريكات، ومزيدا من التقدم والرقي.

رئيس التحرير

صلاة التطوّع

الحلقة (٨)

صلاة الكسوف

(٢)

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

ما يزال الحديث موصولاً عن صلاة الكسوف وما يتعلق بها من أحكام، وقد تكلمنا في الحلقة السابقة عن معنى الكسوف والخسوف، وهل خسوف القمر مثل كسوف الشمس؟ وما يُفعل وقت الكسوف، مشروعية وحكم صلاة الكسوفين ونحوها، ووقتها.

ونبدأ في هذه الحلقة الحديث عن كيفية النداء لها، والجماعة لها، والجهر والإسرار بالقراءة فيها.

المسألة الرابعة: وقت صلاة الكسوف:

أما وقت صلاة الكسوف فيبدأ عند بدء كسوف الشمس، ويستمر إلى أن ينجلي الكسوف ويذهب، ويعود ضوء الشمس كاملاً، كما أنه يبدأ عند بدء خسوف القمر، ويستمر إلى أن ينجلي الخسوف ويذهب، ويعود نور القمر كاملاً.

والأصل في صلاة الكسوف أن تستغرق كامل وقتها، والأصل في هذا حديث المغيرة رضي الله عنه قال: «انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم مات إبراهيم؛ فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم؛ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته؛ فإذا رأيتموهما فادعوا الله تعالى وصلوا حتى ينجلي». (متفق عليه).

> اتفق الفقهاء على أن صلاة الكسوف تسن جماعة في المسجد، ويصلي بالناس الإمام الذي يصلي بهم الجمعة. وتشهد النساء صلاة الكسوف بالمسجد مع الرجال.

وعن أبي بكرة قال: «خسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج يجر رداءه حتى انتهى إلى المسجد وثاب الناس إليه، فصلى بهم ركعتين، فانجلت الشمس فقال: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا يخسفان لموت أحد، وإذا كان ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم». (رواه البخاري).

قوله في الحديث الأول: «فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي»، وقوله في الحديث الثاني: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا يخسفان لموت أحد، وإذا كان ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم» يدلان على أن الصلاة تستغرق كامل وقتها، بمعنى أن يبدأ في الصلاة عند بدء الكسوف ويستمر بها إلى انكشافه وذهابه مهما طال زمنه، سواء استمر ساعة أو أكثر أو أقل. (الجامع لأحكام الصلاة).

وتصلى هذه الصلاة وقت حدوث الكسوف والخسوف. ولا تقضى صلاة الخسوف والكسوف؛ لأنها مقرونة بسببها، فإذا زال السبب، فات موجبها، وهو انجلاء الشمس وغياب القمر أو الشمس كاسفا.

وهل تصلى في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها؟ اختلفوا في هذا الوقت.

فذهب الحنفية، وهو ظاهر المذهب عند الحنابلة، وهو رواية عن مالك إلى أنها لا تصلى في الأوقات التي ورد النهي عن الصلاة فيها، كسائر الصلوات. فإن صادف الكسوف في هذه الأوقات لم تصل، جعل في مكانها تسبيحا، وتهليلا، واستغفارا، وقال الشافعية -وهو رواية أخرى عن مالك ورواية عن أحمد-: تصلى في كل الأوقات، كسائر الصلوات التي لها سبب متقدم أو مقارن، كالمقضية وصلاة الاستسقاء، وركعتي الوضوء، وتحية المسجد.

والرواية الثالثة عن مالك: أنها إذا طلعت مكسوفة يصلى حالا، وإذا دخل العصر مكسوفة، أو كسفت عندهما لم يصل لها.

وسبب اختلافهم في هذه المسألة: اختلافهم في جنس الصلاة التي لا تصلى في الأوقات المنهي عنها. (بداية المجتهد لابن رشد، والموسوعة الفقهية الكويتية).

وقد سبق الكلام عن هذه المسألة بالتفصيل في صلاة التطوع فلتراجع.

المسألة الخامسة: كيفية النداء لصلاة الكسوف

لا يؤذن لصلاة الكسوف اتفاقا، وإنما ينادى لها «الصلاة جامعة»، والأصل في ذلك ما ورد في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «لما كسفت الشمس على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم نودي أن الصلاة جامعة.....» الحديث.

والحديث يدل على أنه ينادى لها «الصلاة جامعة»، وهي حجة لمن استحب ذلك.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «خسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبعث مناديا الصلاة جامعة؛ فقام فصلى أربع ركعات في ركعتين وأربع سجدات».

المسألة السادسة: صلاة الكسوف جماعة في المسجد

اتفق الفقهاء على أن صلاة الكسوف تسن جماعة في المسجد، ويصلي بالناس الإمام الذي يصلي بهم الجمعة. وتشهد النساء صلاة الكسوف بالمسجد مع الرجال، وأباح بعض المالكية -وفي رواية عن أحمد-: إقامة صلاة الكسوف بالمصلى واستدلوا لذلك بما ورد عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «خسفت الشمس في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إلى المسجد فصف الناس وراءه فكبر فاقترأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة طويلة ....» رواه البخاري.

الشاهد من الحديث: «فخرج إلى المسجد وكبر وصف الناس وراءه».

وجه الدلالة: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلى صلاة الكسوف في المسجد، وصلى

أصحابه وراءه؛ وهذا يدل على أنها تُصلَّى في المسجد.

كما ورد أن بعض الصحابة صلاها جماعة في المسجد؛ فعن عاصم بن عبيدالله قال: رأيت ابن عمر يهرول إلى المسجد في كسوف الشمس ومعه نعلاه». رواه ابن أبي شيبة في المصنف.

وعن أبي أيوب الهجري قال: «انكسفت الشمس بالبصرة وابن عباس أمير عليها؛ فقام يصلي بالناس فقرأ فأطال القراءة، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع» رواه ابن أبي شيبة في المصنف.

وهذا لا يتعارض مع الندب لأداء النوافل في البيت، فإن هذه الصلاة مما تُشرع فيه الجماعة؛ فصار أداؤها في المسجد خيرًا من أدائها في البيت.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأما قوله-أي: النبي صلى الله عليه وسلم- «أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة»؛ فالمراد بذلك ما لم تُشرَع له الجماعة؛ وأمَّا ما شُرعت له الجماعة كصلاة الكسوف فَفعْلها في المسجد أفضل بسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة واتفاق العلماء. (منهاج السنَّة النَّبوية ٨/٣٠٩).

وقد أجاز الحنابلة والشافعية صلاتها فرادى؛ لأنها نافلة، ليس من شرطها الاستيطان، فلم تشترط لها الجماعة كالنوافل. وقال الحنفية: إن لم يحضر إمام الجمعة صلاها الناس فرادى ركعتين أو أربعًا، في منازلهم. (الفقه الإسلاميَ وأدلته د. وهبة الزحيلي).

وأمـا صلاة خسوف القمر، ففيها رأيـان: قال الحنفية والمالكية: إنها تصلى فرادى (أفذاذًا) كسائر النوافل؛ لأن الصلاة بجماعة في خسوف القمر لم تنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، مع أن خسوفه كان أكثر من كسوف الشمس، ولأن الأصل أن غير المكتوبة لا تؤدَّى بجماعة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «صلاة الرجل في بيته أفضل إلا المكتوبة» إلا إذا ثبت بالدليل كما في العيدين وقيام رمضان وكسوف الشمس، ولأن الاجتماع بالليل متعذر، أو سبب الوقوع في الفتنة.

وتصلى عند الشافعية والحنابلة صلاة الخسوف جماعة كالكسوف؛ لما روي عن الحسن عن ابن عباس: أنَّ القمر كَسف وابنُ عباس بالبصرة فخرج ابن عباس فصلى بنا ركعتين في كل ركعة ركعتان، ثم ركب فخطبَنا فقال: إنما صليتُ كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي». (رواه الشافعي في مسنده). ولحديث محمود بن لبيد قال: «كسفت الشمس يوم مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: كسفت الشمس لموت إبراهيم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل ألا وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته؛ فإذا رأيتموهما كذلك فافزعوا إلى المساجد.. الحديث» رواه أحمد وابن حبان قال شعيب الأرنؤوط: إسناد جيد رجاله رجال الصحيح.

أما سبب الاختلاف بين الرأيين: اختلافهم في مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله؛ لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته؛ فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى يكشف ما بكم وتصدقوا» (رواه البخاري ومسلم). فمن فهم هاهنا من الأمر بالصلاة فيهما معنى واحدًا وهي الصفة التي فعلها في كسوف الشمس رأى الصلاة فيها في جماعة. ومن فهم من ذلك معنى مختلفًا؛ لأنه لم يرو عنه عليه الصلاة والسلام أنه صلى في كسوف القمر مع كثرة دورانه. قال: المفهوم من ذلك أقل ما ينطلق عليه اسم صلاة في الشرع وهي النافلة فذا، وكأن قائل هذا القول يرى أن الأصل هو أن يحمل اسم الصلاة في الشرع إذا ورد الأمر بها على أقل ما ينطلق عليه هذا الاسم في الشرع إلا أن يدل الدليل على غير ذلك. (بداية المجتهد لابن رشد).

والـرأي الأول أولـى؛ إذ لا فـرق بـين الخسوف والكسوف.

وللحديث بقية- إن شاء الله- للكلام عن بقية مسائل صلاة الكسوف، وبالله تعالى التوفيق.

> **أجاز الحنابلة والشافعية صلاتها فرادى؛ لأنها نافلة، ليس من شرطها الاستيطان، فلم تشترط لها الجماعة كالنوافل.**

نظرات في أحكام الطلاق

وقوع الطلاق البدعي

«الاستدلال»

الحلقة (٦)

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ» (سبأ: ١)، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

إعداد **د. محمد عبد العزيز**

فقد سبق أن حديث ابن عمر رضي الله عنهما هو الأصل في الاستدلال في مسألة حكم وقوع الطلاق البدعي، وأنّ كل معقول بعد ذلك فإنما مبناه على هذا النص، فما وافقه فالاستدلال إنما كان بهذا الأصل، وما خالفه فهو رأيٌ في مقابلة النص، وما زلنا نستعرض روايات هذا الحديث، ونصور استدلال أهل العلم بها، وقد ذكر في المقال السابق روايتان من روايات الحديث الستة، ونستكمل في هذا المقال-بإذن الله تعالى- كلام ابن قيم الجوزية على:

الرواية الثانية: وهي من طريق ابن أبي ذئب، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه طلق امرأته وهي حائض، فأتى عمرُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم؛ فذكر ذلك له فجعلها واحدة». (أخرجه أبو داود الطيالسي (٦٨)، والدارقطني (٣٩١٢). وقد عزاه الحافظ في الفتح (٣٥٣/٩) لابن وهب في جامعه. وهو إسناد صحيح على شرط الشيخين).

قال ابن القيم في زاد المعاد (٥ /٢١٧): «فلعمر الله لو كانت هذه اللفظة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما قدمنا عليها شيئًا، ولصرنا إليها بأول وهلة، ولكن لا ندري أقالها ابن وهب من عنده أم ابن أبي ذئب، أم نافع، فلا يجوز أن يُضاف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يتيقن أنه من كلامه، ويشهد به عليه، وترتب عليه الأحكام، ويقال: هذا من عند الله بالوهم والاحتمال.

والظاهر أنها من قول من دون ابن عمر رضي الله عنهما.

ومراده بها أن ابن عمر رضى الله عنه إنما طلقها طلقة واحدة، ولم يكن ذلك منه ثلاثًا، أي طلق ابن عمر رضي الله عنهما امرأته واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره.

وأما حديث ابن جريج عن عطاء عن نافع «أن تطليقة عبد الله حُسبت عليه». فهذا غايته أن يكون من كلام نافع.

ولا يعرف من الذي حسبها، أهو عبد الله نفسه، أو أبوه عمر، أو رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ولا يجوز أن يشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوهم والحسبان».

وكلام ابن القيم هذا فيه صواب وخطأ، فأما صوابه فقوله: لو كانت هذه اللفظة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قدمنا عليها شيئًا، ولصرنا إليها بأول وهلة، وفي هذا تسليم بصراحة هذه اللفظة في إيقاع الطلاق على

المرأة الحائض.

وأما الخطأ فتطريق الاحتمال الضعيف على الدليل الثابت، وترجيحه عليه بغير بينة، فإن الاحتمال الذي يرد على الدليل فيسقط به الاستدلال إنما هو الاحتمال المساوي.

وقد جعل ذلك الإمام تطريق الاحتمال الضعيف الذي يورد بلا مسوغ ظاهرًا؛ فقال: والظاهر أنها من قول من دون ابن عمر رضي الله عنه.

هذا مع تصريح ابن أبي ذئب، وابن جريج، والشعبي بالرفع.

قال ابن الملقن في التوضيح (٢٥/١٨٥): «وادعى ابن حزم أن حديث ابن أبي ذئب، الذي في آخره: «وهي واحدة» أتى بها ابن أبي ذئب، ولا يقطع أنها من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويمكن أن يكون من كلام من دونه، والشرائع لا تؤخذ بالظنون، والظاهر أنه من قول من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو عجيب، فما ذكره لا يؤخذ بالظنون كما قاله، وفيما سلف من التصريح ما يدفعه».

وهذا لا ينفي ورود ذلك عن نافع مقطوعًا من قوله أيضًا في مسلم في رواية من طريق ابن نمير عن عبيد الله، كما سبق قريبًا وقد سلك بعض أهل العلم في هذه الرواية مسلكًا آخر مع التسليم بصحة اللفظة، وهو أن المراد بها الطلقة التي سيطلقها ابن عمر رضي الله عنهما بعد المراجعة في قبل العدة إن أراد، وهذا مسلك الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى.

وسأنقل قوله لأهميته قال في كتابه: نظام الطلاق في الإسلام (ص ٢١): «ومن الغريب أن هذه الروايات ذكرت في معرض الاستدلال على وقوع الطلقة التي كانت في الحيض! وفهموا من قوله: «هي واحدة» أن الضمير يعود إلى تلك الطلقة!!

حتى إن ابن حزم، وابن القيم لم يجدا لهما مخلصًا من هذه الحجة إلا: أن يزعما أن الكلمة في السياق محتملة ألا تكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، أي: كأنها مدرجة من الراوي، أو يتأولاها بتأول غير جيد، مع أن سياق الكلام صريح في أنه من الحديث المرفوع، وخاصة في رواية الدارقطني من طريق يزيد بن هارون.

> **الاحتمال الذي يرد على الدليل فيسقط به الاستدلال إنما هو الاحتمال المساوي.**

والصحيح الواضح: أن قوله: «هي واحدة»: إنما يراد بها الطلقة التي ستكون في الطهر الثاني في قبل العدة؛ لأنها أقرب مذكور إلى الضمير، بل إن لم يذكر غيرها في اللفظ النبوي الكريم، وطلقة الحيض أشير إليها فيه فقط، وفهمت من سياق الكلام، فلا يمكن عود الضمير إليها.

ويكون معنى قوله: «هي واحدة»: إن طلق كما أمر كانت طلقة واحدة، ولا تكون ثانية، لعدم الاعتداد بالأولى التي كانت لغير العدة؛ فتكون هذه الرواية مؤيدة لرواية أبي الزبير، ودليلاً على بطلان الطلاق في الحيض».

وكلام الشيخ أحمد شاكر فيه عدد من النقاط التي تكفينا مؤنة الرد على ابن حزم، وابن القيم:

الأولى: الاعتراف بثبوت هذه اللفظة: «هي واحدة» مرفوعة للنبي صلى الله عليه وسلم، وليست هي لمن دونه.

الثاني: الاعتراف بصراحة السياق في الرفع.

الثالثة: الاعتراف أن التأويلات التي تأول بها الشيخان هذه اللفظة غير جيدة.

أما ما تأول به الشيخ اللفظة فهو أبعد التأويلات، وبيان ذلك من ثلاثة وجوه:

الأول: أنه لا قائل بهذا القول قبل الشيخ رحمه الله تعالى، حتى من كان يقول بعدم وقوع الطلاق في الحيض ويحامي عنه كالظاهرية ورأسهم المحامي عن مذهبهم ابن حزم، وأيد مذهبهم في هذه المسألة ابن تيمية، وابن القيم، فليس له فيه سلف.

الثاني: إن القاعدة الأصولية المشهورة أن

السؤال معاد في الجواب، فكيف يُسألُ النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم الطلقة في الحيض فيجيب عن غيرها.

وبيان ذلك: أن في طريق أنس بن سيرين: «فأتى عمر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم فسأله. فقال: مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلقها إن شاء. قال: فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفتحتسب بتلك التطليقة؟ قال: نعم».

الثالث: إن في طرق هذا الحديث ردٌ على القول بأنه يراد بهذه اللفظة: «الطلقة التي ستكون في الطهر الثاني في قبل العدة». ففي رواية الشعبي: «وتحتسب بهذه التطليقة التي طلق أول مرة». فهي واضحة بينة.

الرواية الثالثة:

عن سالم أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وفيها: «فراجعتها وحسبت لها التطليقة التي طلقتها». أخرجه مسلم (١٤٧١)، والنسائي (٣٣٩١)، وفي الكبرى (٥٥٥٤)، وأبو عوانة (٤٩٤٧)، والبيهقي (١٤٩١٠).

> **القاعدة الأصولية المشهورة أن السؤال مُعاد في الجواب، فكيف يُسألُ النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم الطلقة في الحيض فيجيب عن غيرها.**

قال: وحدثني حنظلة بن أبي سفيان، سمع سالمًا يحدث، عن أبيه، عن النبي عليه الصلاة والسلام بذلك.

وقال عبد الحق الخزرجي: وكيف يكون ما قاله ابن حزم مُوجَهًا وفي الحديث: فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام.

قال: وحديث الدارقطني يدفع قوله أيضًا؛ لأنه لم يورد فيه غير قوله عليه الصلاة والسلام: «هي واحدة».

ففيها: إن الطلقة التي كانت في الحيض حُسبتْ عليها، بالبناء لما لم يسم فاعله.

والظاهر أن الذي احتسبها هو النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن عمر استفتاه، فأفتاه فتوى مفصلة في أمرها، وحاشاه أن يفتئت بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فيحكم النبي بعدم الوقوع، ويحكم هو بالوقوع في واقعة عين واحدة.

وقال ابن القيم: «فليس هذا بأول حديث خالفه راويه، وله بغيره من الأحاديث التي خالفها راويها أسوة حسنة في تقديم رواية الصحابي، ومن بعده على رأيه».

قلت: وقد أخطأ من قال: هذا من مخالفة الراوي مرويه بالاجتهاد؛ لأن هذه واقعة عين حكم فيها للراوي نفسه.

والراوي هو صاحب القصة، وأعلم الناس بها، وعنه تلقتها الأمة، فليست خبرًا يتأوَّل.

وقال ابن حزم: «وأما ما روي من قوله: «ما يمنعني أن أعتد بها» وقوله: «وحسبت لها التطليقة التي طلقتها».

فلم يقل فيه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبها تطليقة، ولا أنه عليه الصلاة والسلام هو الذي قال له: أعتد بها طلقة، إنما هو إخبار عن نفسه ولا حجة في فعله ولا فعل أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتبعه على قوله ابن القيم، وقد علمت الإجابة، وهو أن الأصل في الحكم الذي أضيف لعهد النبوة ويمكن أن يطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم أنه هو السنة، فكيف بقضية عين حكم فيها النبي صلى الله عليه وسلم بل كيف وقد جاء فيها التصريح بالرفع؟!

بل كيف وقد تعضدت بفعل صاحب لا يعلم له مخالف، وأيضًا تعضدت بالأمر بالرجعة ولا تكون إلا بعد طلاق.

هذا ما يسره الله في هذا المقال؛ فإن يكن صوابًا فمن توفق الله عز وجل، وإن تكن الأخرى فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

رد المحتار عن التفكير في الانتحار

الحلقة الثانية

علة تحريم الانتحار، وأسبابه، ودوافعه

إعداد **المستشار/ أحمد السيد علي**

نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

قد يتسائل البعض: لماذا حرم الله الانتحار؟، وتكمن الإجابة عن هذا السؤال في الآتي:

١ - الانتحار اعتداء الإنسان على جسده الذي لا يملكه:

الانتحار هو الاعتداء على النفس بإهلاكها، ولا يملك الإنسان الحق بإهلاك نفسه؛ لأنها ملك خالقها سبحانه فهو المحيي المميت، ولا يملك هذا الحق غيره سبحانه، قال تعالى: (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (يونس: ٣١).

٢ - الانتحار يأس من رحمة الله:

يفكر ضعاف النفوس والإيمان بالانتحار عندما تواجههم المشكلات مستسلمين لليأس. والمسلم لا يفكر بالانتحار؛ لأنه لا ييأس من رحمة الله، وإن قسا عليه الزمن وتناوبت عليه السنون؛ فهو يعلم أن الابتلاء يرفع الدرجات ويكفر السيئات، وهو على يقين دائم بأن مع العسر يسرًا؛ لذا لا ينفك عن

الاجتهاد ولا يفتر عن المحاولة. قال الله تعالى على لسان يعقوب موجهًا أبناءه وقد طال به الابتلاء: (وَلَا تَاْيْـَٔسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (يوسف: ٨٧). وقال الله تعالى حاكيا عن إبراهيم الخليل: (قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) (الحجر: ٥٦)

وكما يحب الإنسان الخير ولا يكتفي منه ولا ينقطع عن طلبه فعليه في المقابل ألا يصيبه اليأس عندما تصيبه المصيبة، وإلا كان كمن قال الله فيهم: (لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ). (فصلت: ٤٩)

٣- الانتحار تتبع لخطوات الشيطان:

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ) (النور: ٢١)، ولا يزال الشيطان يوسوس للمنتحر، حتى ييأسه من رحمه الله، ويسد أمامه أبواب التوبة، ويغلق عليه أبواب الرحمة، فلا يتركه حتى يقتل نفسه، ثم يتبرأ منه، ومن أمثاله يوم القيامة، مصداقا لقوله تعالى: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (إبراهيم: ٢٢).

٤- عدم الرضا بقضاء الله وقدره:

فإن المنتحر لا يرضى بقضاء الله وقدره، فمن ينتحر لفقره، أو لعدم إنجابه، أو لتعرضه للظلم، لو علم أن الله عز وجل هو الذى قدر عليه ما لحق به من البلاء: لقوله تعالى: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا) (الأحزاب: ٣٨)، وأنه ما لحق به إلا لاختباره، لقوله تعالى: (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (العنكبوت: ٢، ٣)، لصبر على البلاء، ورضي بالقضاء، فلما استعجل الانتحار، تعرض لسخط الجبار.

٥- عدم الصبر على البلاء:

فقد بشر الله عباده الصابرين على ابتلاءاته، بالرحمة، والهداية، فقال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧)، والمنتحر لا يصبر على البلاء الذي حاق به، ويظن أن إنهاء حياته سيخلصه مما هو فيه، فيعلم بعد موته حجم ما لحقه من خسارة نتيجة عدم صبره.

أسباب الانتحار ودوافعه:

السبب الرئيس: ضعف العقيدة:

السبب الرئيس الذي يدفع بعض الناس للانتحار يكمن في ضعف عقيدتهم، وعدم اكتمال المعاني الإيمانية في نفوسهم، الناتج عن الجهل بمعاني الربوبية، والألوهية، وأسماء الله، وصفاته، كما سبق بيانه، ومن العوامل الدافعة للانتحار:

جاء ببحث للمركز القومي للبحوث الاجتماعية، حول نسب الانتحار، وتقرير الأمن القومي لعام ٢٠١٢م: آخر إحصائيات عن الظاهرة ٣١٠ حالات انتحار بالجمهورية والقاهرة تسجل أعلى نسبة بـ ٢٥٪: (وأشار التقرير إلى أن أكثر الدوافع سببًا في الانتحار، كانت الانفعالات النفسية والعصبية بنسبة ٦٥٪ ذكورًا و١٥٪ إناثا، إما بسبب المنازعات العائلية فكانت بنسبة ٢٪ ذكورًا و٦٪ إناثًا، بينما حالات التخلص من المرض كانت ٤٪ من الذكور و٢٪ من الإناث، أما حالات الانتحار بسبب حالات الضيق المالي فكانت ١٣٪ من الذكور و٢٠٪ من الإناث، وكانت أعلى نسبة في عدد المنتحرات الإناث غير العاملات بنسبة ٢١٪، يليها العمال العاديون والحرفيون بنسبة ١٩٪، والعاطلون بنسبة ١٣٪، والطلبة بنسبة ١١٪.) اهـ.

١- الدوافع الاقتصادية: ومن أهمها: الفقر والبطالة، والفشل في العمل.

٢- الدوافع الاجتماعية: ومن أهمها: المشاكل الأسرية، حالات الاغتصاب، المشكلات العاطفية، الرسوب في الامتحانات.

٣- الدوافع الصحية،

والنفسية: ومن أهمها: المشكلات الصحية السيئة، وكثرة الأمراض النفسية.

حكم المريض النفسي المنتحر:

قد يصاب المرء بمرض نفسي -كالاكتئاب-، يدفعه للانتحار، فهل يؤاخذ على فعله أم لا؟

ما يصيب المسلم من أمراض نفسية- كالاكتئاب- له حالتان:

الحالة الأولى: أن يصاب المسلم بأمراض نفسية فتؤثر في عقله تأثيرًا بالغًا حتى لا يدري ما يقول ولا ما يفعل، فمثل هذا إن حصل منه قتل لنفسه، فلا يكون مع المذنبين الواقعين في كبيرة الانتحار، بل يكون معذورًا؛ وذلك لوجود مانع من موانع التكليف وهو «فقدُ العقل»؛ لقوله النبي صلى الله عليه وسلم: «رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ المَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ- أَوْ يَفِيقَ» (رواه أبو داود، وصححه الألباني).

الحالة الثانية: أن يصاب المسلم بأمراض نفسية ليس لها تأثير على عقله، وانما هي مجرد ضيق نفسي، ويدري معه ما يقول وما يفعل، ويميز بين الحسن والقبيح، ويفرق بين الخطأ والصواب: فلا يكون معذورًا بقتل نفسه، بل يؤاخذ على فعله.

> السبب الرئيس الذي يدفع بعض الناس للانتحار يكمن في ضعف عقيدتهم، وعدم اكتمال المعاني الإيمانية في نفوسهم.

٤- الدوافع الاعتقادية الخاطئة:

وقد تدفع الاعتقادات الدينية الخاطئة بعض الأشخاص للانتحار، مثل:

أ- أن يقترف شخص، ذكرًا أم أنثى، ذنوبًا كبيرة: كالزنا، ثم يحرقه ألم المعصية، ولا سبيل لإقامة الحد عليه، كما أنه يضعف عن إحداث توبة صادقة بينه وبين الله تعالى، فيعمد إلى إقامة الحد على نفسه بالانتحار.

ب- أن تكون العلاقة بين المنتحر وربه علاقة نفعية: مصداقًا لقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) (الحج: ١١)؛ فيظل يدعو ربه لضر نزل به، أو حاجة يرجوها، فإذا نال مطلوبه توقف وفترت صلته بالله، وكان المتعين عليه أن يواصل ويستمر في كثرة تضرعه لربه في السراء والضراء، فليس أحدٌ له غنىً عن الله تعالى، ومن تعرف إلى الله في الرخاء عرفه في الشدة.

٥- الدوافع السلوكية:

الانفتاح الإعلامي والثقافي غير المنضبط الذي تعيشه مجتمعاتنا: هذا الأمر قد دعا إلى تقليد الآخرين، والتأثر بهم في كل شأن من شؤونهم، وهو أمرٌ غيرُ محمود؛ لما فيه من ضياع الهُوية واستلابها، فيتأثر البعض - ولا سيما الصغر- بمشاهد الانتحار الموجودة في الأعمال الدرامية، فينشأ لديهم حب التقليد الأعمى لبعض الأفلام والمسلسلات، فالبطل ينتحر وآخر ينقذه حتى يؤثر على من حوله ويستعطفهم أو يصل لموافقة أهله على قرار، فيقوم المنتحر بتقليد الفنان، ولكن الحظ لا يحالفه فيموت في الحال، وقد يتأثر الناس بمشاهدة ما يعرف باسم برامج (المقالب) فيفعل ذلك مع أصحابه، مما يؤثر في أحدهم، فيدفعه ذلك إلى الانتحار.

تراجع مقالة: «ظاهرة الانتحار وموقف الإسلام منها» السيد طه أحمد، ومقالة: «الانتحار.. أسبابه وحكمه» للشيخ د. صالح بن عبد الله الهذلول خطيب.

وللحديث بقية إن شاء الله.

الترغيب في الزواج

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

خير الكنوز والمتاع

إن الإنسان في دنياه يحب اكتناز الأشياء الثمينة، والأمتعة النفيسة، ويحرص عليها ويجمع لها، ومن هذا المنطلق أرشد نبينا صلى الله عليه وسلم إلى أن «الدُّنْيا مَتاعٌ، وَخَيْرُ مَتاعِ الدُّنْيا المَرْأَةُ الصَالِحَةُ» (صحيح مسلم ١٤٦٧).

وأكد هذا المعنى في حديث آخر قال فيه: «إنَّما الدُّنيا متاعٌ، وليسَ مِن متاعِ الدُّنيا شيءٌ أفضلَ منَ المرأةِ الصَّالحةِ». (صحيح ابن ماجه ١٥١٦).

وسر ذلك أن الناس زُيِّن لهم حب الشهوات، وأعمّ هذه الشهوات زينةً وأعظمها شهوةُ النساء، وعليه كانت النساء خير هذه الزينة وأفضل ذلك المتاع؛ لأنها تحفظ زوجها عن الحرام، وتعينه على القيام بأموره الدينية والدنيوية، وكل لذة أعانت على لذات الآخرة فهي محبوبة مرضية لله، وصاحبها يلتذ بها من جهة تنعمه وقرّة عينه بها، ومن جهة إيصالها له إلى مرضاة ربه وإيصاله إلى لذة أكمل منها. واشارة النبي صلى الله عليه وسلم إليها بالصالحة إيذانًا بأنها شر المتاع لو لم تكن صالحة، والمراد بالصالحة النقية المصلحة لحال زوجها في بيته المطيعة لأمره.

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قلب شاكر، ولسان ذاكر، وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك خير ما اكتنز الناس». (صحيح الجامع: ٤٤٠٩).

أي خير ما اتخذوه كنزًا وذخرًا، فإن هذه الثلاثة جامعة لجميع المطالب الدنيوية والأخروية وتعين عليها، وانما كان كذلك لأن الشكر يستوجب المزيد والذكر ربيع القلوب والزوجة الصالحة تحفظ على الإنسان دينه ودنياه وتعينه عليهما.

الترغيب في النكاح

ومن أجل أن المرأة (الزوجة) هي خير متاع الدنيا فقد رغَّب الإسلام في نكاحها وزواجها والسكن إليها، فعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «النكاح سُنتي، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، ومن كان ذا

طَوْل فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فإن الصوم له وجاء». (صحيح الجامع: ٦٨٠٧).

الترغيب في الأبكار

وكما رغب الإسلام في الزواج فقد ازداد ترغيبًا في زواج البكر، فعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تزوجوا الأبكار؛ فإنهن أعذب أفواهًا، وأنتق أرحامًا، وأرضى باليسير». (صحيح الجامع: ٢٩٣٩).

وعن محارب قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: تزوجت؛ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تزوجت؟» فقلت: تزوجت ثيبًا، فقال: «ما لك وللعذارى ولعابها؟»؛ فذكرت ذلك لعمرو بن دينار فقال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلا جارية تلاعبها وتلاعبك»؟ (البخاري: ٥٠٨٠).

وهذا لا يقلل من شأن الثيب ففي كل خير، ولكن الفرق أن رحم البكر ما زال عامرًا بما يرجى من النسل، كما أنها لا تعرف الكثير عن الرجال، فترضى بيسير ما بينها وبين زوجها، لكننا نستعيذ بالله تعالى من إدراك زمن تستوي فيه البكر مع الثيب في معرفتها كل شيء قبل أن تقترن بزوج، ولا يكون هذا إلا من ثمار الاختلاط والحرية المظلومة بين هؤلاء العبيد.

> تيسير الزواج رفعٌ للعنت عن الشباب وعفةٌ وتحصين، ونشرٌ للفضيلة.

من فوائد الزواج

خير من يبين فوائد الزواج؛ الذي شرعه وجعله آية من آياته؛ وهو الله جل وعلا، فقد قال تعالى: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الروم:٢١)، وقال سبحانه: «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» (البقرة:١٨٧)، وبلغ رسوله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك:

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان؛ فليتق الله في النصف الباقي». (حديث حسن: صحيح الجامع: ٦١٤٨).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». (حديث صحيح: صحيح الجامع: ٧٩٧٥).

وفي رواية من حديث عثمان مرفوعًا: «من كان منكم ذا طَوْل فليتزوج». (صحيح النسائي ٣٢٠٦).

ومرت امرأة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه فقال: «إذا رأى أحدكم مثل هذا فليأت أهله؛ فإن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتولي في صورة شيطان؛ فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله؛ فإن ذلك يرد مما في نفسه». (صحيح الجامع ح١٩٤٠).

مما سبق يتبين أن فوائد الزواج:

١- سكون الرجل إلى زوجته حين يعود إليها من خارج بيته فيجد عندها الأنس والراحة والدعة، فتسكن نفسه ويطمئن قلبه، ويرتاح جسده ويذهب همه، وفي هذا بيان ضمني لأن تكون المرأة أهلاً لهذه المهمة العظيمة، ولا تكون مصدر قلق وتنغيص دائمين.

٢- السعادة النفسية ولذة العشرة الناتجة عن المودة والرحمة التي جعلها الله بينهما.

٣- كل واحد من الزوجين لباس للآخر، واللباس هي الثياب وهو يدل على امتزاج الزوجين بحيث يكون واحد منهما للآخر كالجسد، والثاني كاللباس على هذا الجسد، وهذا غاية الخلطة والامتزاج.

٤- كمال نصف الإيمان للمتزوج ونصف الدين؛ لأن الذي يقيم المرء غالبًا في دينه فرجه ولسانه، فإذا عف فرجه بالزواج، بقي النصف الآخر فليتق الله فيه وهو حفظ اللسان.

والى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «من يَضْمن لي ما بيْن لَحْيَيْه وما بيْن رجْلَيْه أضْمن له الجنَّة» (صحيح البخاري ٦٤٧٤)

٥- الزواج معين بإذن الله على غض البصر وتحصين الفرج؛ كما تقدم.

لا يخطب الرجل على خطبة أخيه

فإذا أراد الإنسان وهمَّ بالزواج فلا يخطب على خطبة أخيه، خاصة إذا رضيت به مخطوبته وركنت إليه، فأما قبل أن يُعلم رضاها وركونها إلى الخاطب الأول فلا بأس أن يخطبها غيره والحجة في ذلك حديث فاطمة بنت قيس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَخْطُبُ الرَّجُل على خطْبة أخيه، ولا يَسُومُ على سَوْم أخيه، ولا تُنْكَحُ المرْأة على عمَّتها ولا على خالتها، ولا تَسأل المرْأة طلاق أخْتها لتكْتفئ صَحْفَتها ولْتَنْكح، فإنما لها ما كَتب الله لها». (صحيح مسلم ١٤٠٨).

وأما حديث فاطمة بنت قيس فنصه:

عن أبي بكر بن أبي الجهم بن صخير العدوي قال: سمعْتُ فاطمة بنْت قيْس، تقول: إنَّ زوْجها طلَّقها ثلاثًا، فلمْ يجْعل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم سُكْنى، ولا نفقة، قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا حللْت فآذنيني، فآذنْتُه، فخطبها مُعاوية، وأبو جهْم، وأسامة بنُ زيْد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمَّا مُعاوية فرجُلٌ تربٌ، لا مال له، وأمَّا أبو جهْم فرجُلٌ ضرَّابٌ للنساء، ولكنْ أسامة بنْ زيْد فقالت بيدها هكذا: أسامة، أسامة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: طاعةُ الله، وطاعةُ رسوله خيْرٌ لك، قالت: فتزوَّجْتُه، فاغْتبطْتُ. (صحيح مسلم ١٤٨٠).

> «إذا كانت الدنيا متاعاً فأكبر متاعها المرأة الصالحة.»

معاونة الشباب على العفة والزواج

يقول الله تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» (المائدة: ٢).

عن ربيعة بن كعب قال: كنت أخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال ذات يوم: «يا ربيعة: ألا تتزوج»؟ قلت: يا رسول الله: والله ما عندي ما يقيم امرأة، وما أحب أن يشغلني عن خدمتك شيء، ثم قال لي يوما آخر: «يا ربيعة: ألا تتزوج»؟ فقلت: له مثل ذلك، قال: ثم قلت في نفسي: والله لرسول الله أعلم بما يصلحني من أمر دنياي وآخرتي مني، والله لئن قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة لأقولن نعم، فقال لي الثالثة: «يا ربيعة: ألا تتزوج»؟ قال: قلت: ليصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء، فقال: «انطلق إلى آل فلان ناس من الأنصار فقل: رسول الله أرسلني يقرأ السلام ويأمركم أن تزوجوني فلانة». فأتيتهم فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني فلانة، فقالوا: مرحبًا برسول الله، وبرسول رسول الله، والله لا يرجع رسول رسول الله اليوم إلا بحاجته، قال: فزوجوني وأكرموني.

يظهر بحمد الله من هذا الحديث:

١ - معاونة النبي صلى الله عليه وسلم الشباب على العفة، والقضاء على مشاكل العزوبة.

٢ - رضا الناس بما اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر به، وتسليمهم بقوله دون حرج أو نقاش.

٣ - اتضح ذلك في عدم سؤالهم عن إمكانيات الخاطب مع رؤيتهم لضعف حاله، لكن ليس من طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بُد أو مفر.

صدق إمام الميسرين، وتبارك من أرسله بالحنيفية السمحة: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» (البقرة:١٨٥).

وللحديث بقية إن شاء الله.

الحلقة
(٢٣٦)

قصة المرأة التي حاضت وهي رديف النبي صلى الله عليه وسلم

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد **علي حشيش**

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- اشتهار هذه القصة في بعض الكتب التي جمعها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، واغتر بذلك القُصاص وبعض الوُعاظ والفقهاء وأوردوها في كتب الفقه.

٢- المرأة التي أردفها النبي صلى الله عليه وسلم من بني غفار واسمها كما سنبين في السند، وتقول هذه المرأة كما سنبين أيضا في المتن: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أردفني على حقيبة رحله، وتقسم المرأة وتقول: فوالله لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح.

٣- وإن تعجب فعجب أن تدعي هذه المرأة، وتقسم أن النبي صلى الله عليه وسلم أردفها حتى الصباح في هذه القصة التي سنبين تلف سندها ونكارة متنها، والرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو أسوتنا، قال تعالى عنه: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب:٢١).

٤- والدليل على نكارة هذه القصة الواهية أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يردف إلا زوجاته رضي الله عنهن كما هو مبين في الحديث الذي أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح٥١٥٩) من حديث أنس قال: «أَقامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ

خيبر والمدينة ثلاثًا يُبنى عليه بصفية بنت حيي؛ فدعوت المسلمين إلى وليمته، فما كان فيها من خبز ولا لحم أمر بالأنطاع فألقى فيها من التمر والأقط والسمن فكانت وليمته. فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين أو مما ملكت يمينه، فقالوا: إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه، فلما ارتحل وطى لها خلفه ومد الحجاب بينها وبين الناس».

٥- ولذلك بوب الإمام البخاري بابًا في كتاب اللباس، وهو الباب (١٠٢)، وترجم له: باب «إرداف المرأة خلف الرجل ذا محرم»، وأورده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣٩٨/١٠) ط. دار المعرفة بيروت، ثم ذكر تحت هذه الترجمة الحديث الذي أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٩٦٨) في إرادف صفية بنت حيي من حديث أنس قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وإني لرديف أبي طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ عثرت الناقة، فقلت: المرأة فنزلت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها أمكم».

قلت: والترجمة للباب تدل على دقيق فقه الإمام البخاري، وأنه حير العقول باستنباطه، لذلك قال الإمام السيوطي في «التدريب» (٩٥/١): «واختص مسلم بجمع طرق الحديث في مكان واحد بأسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فسهل تناوله، بخلاف البخاري فإنه قطعها في الأبواب بسبب استنباطه الأحكام منها، وأورد كثيرًا منها في مظنته.. فللبخاري من الفضل ما ضمنه في أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار». اهـ.

> للإمام البخاري رحمه الله من الفضل على غيره ما ضمّنه في أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار.

قلت: وترجمه الباب «إرداف المرأة خلف الرجل ذا المحرم».

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: قوله: «باب إرداف المرأة خلف الرجل ذا محرم». كذا للأكثر والنصب على الحال، ولبعضهم ذي محرم على الصفة». اهـ.

وهذا من استقراء الإمام البخاري لأحاديث الإرداف، وهو الذي قال عنه تلميذه الإمام مسلم وقد قبل البخاري بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث وعلله». نقله الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» (ص٥١٣) عن البيهقي في «المدخل» عن الحاكم.

٦- وإن تعجب فعجب أن تقول المرأة كما جاء في متن هذه القصة الواهية: «فوالله لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يردفني إلى الصبح، فأناخ ونزلت على حقيقة رحله فنزلت فإذا بها دم مني، فكانت أول حيضة حضتها، فتقبضت إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ورأى الدم قال: «ما لك، لعلك نفست». قلت: نعم. قال: فأصلحي من نفسك، ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحًا ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمركبك».

ثم الأعجب كما في المتن أنها قالت: وكانت لا تطهر من حيضه إلا جعلت في طهورها ملحًا، والأعجب من ذلك أنها أوصت به أن يُجعل في غسلها حين ماتت.

٧- واشتهرت هذه القصة في بعض كتب الفقه في أحكام الطهارة، فقد أوردها: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي المتوفى (٦٤٣هـ) في «السنن والأحكام عن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام» (٦٥١/٢٣٥/١) ط. دار عسيري بالسعودية، باب «ذكر غسل الحيض بالماء والملح».

٨- وأوردها: شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامي المقدسي المتوفى (٦٨٢هـ) في «الشرح الكبير على المقنع» (٢٩٢/٢).

٩- وأوردها: منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي المتوفى (١٠٥١هـ) في «كشاف القناع عن متن الإقناع» (١/١٨٣) ط. دار الكتب العلمية.

١٠- وأوردها أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المتوفى (٦٢٠هـ) في «المغني» (١/٤٤) ط. مكتبة القاهرة: فصل أصاب ثوب المرأة دم حيضها.

قلتُ: وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

ثانيا: المتن:

رُوِيَ عن أمية بنت أبي الصلت، عن امرأة من بني غفار قد سماها لي قالت: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله قالت: فوالله لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح، فأناخ ونزلت عن حقيبة رحله، فإذا بها دمٌ مني، فكانت أول حيضة حضتها قالت: فتقبضت إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ورأى الدم قال: «ما لك، لعلك نفست؟» قلت: نعم. قال: «فأصلحي من نفسك، ثم خذي إناءً من ماء فاطرحي فيه ملحًا، ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عُودي لمركبك».

قالت: فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبرَ رَضَخَ لنا من الفيء. قالت: وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت في طهورها ملْحًا وأوصت به أن يُجعل في غُسلها حين ماتت». اهـ.

ثالثا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة:

١- أخرجه الإمام أبو داود في «السنن» (١/٨٤) (ح٣١٣): قال: حدَّثنا محمد بن عمرو الرازي، حدَّثنا سلمة- يعْني ابنَ الفضْلِ- أخْبرنا محمَّد- يعْني ابنَ إسْحاقَ- عنْ سُليْمانَ بْنِ سُحيْمٍ، عنْ أُميَّةَ بِنْتِ أبي الصَّلْتِ، عنْ امْرأةٍ منْ بَني غِفارٍ قدْ سمَّاها لي قالتْ: أرْدفني رسُولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّم... القصة.

٢- وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (ح٢٧١٣٦) قال: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق به.

٣- وأخرجه الإمام البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/٥٧٠) (ح٤١١١) قال: أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبدالجبار، حدثنا يونس بن بُكير، عن ابن إسحاق، به.

رابعا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية به علل:

العلة الأولى: محمد بن إسحاق:

أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٤٦٨/٧١٩٧)، ثم ذكر الإمام الذهبي من وهَّاه:

١- قال أبو داود: «قد روى معتزلي».

٢- وقال أحمد: «كثير التدليس جدًا».

٣- وروى عن حميد بن حبيب: «أنه رأى ابن إسحاق مجلودًا في القدر، جلده إبراهيم بن هشام الأمير».

٤- وقال عبد الرحمن بن مهدي: «كان يحيى بن سعيد الأنصاري ومالك يجرحان ابن إسحاق».

فائدة: تعتبر قاعدة مهمة جدًا، لقد بينا بعض أقوال أئمة الجرح والتعديل في محمد بن إسحاق وهو جرح مفسر كما بينا آنفا، وحتى لا يتقول علينا من لا دراية له بالصناعة الحديثية بأن

هناك بعض من وثقه.

فالقاعدة عند أهل الصنعة أن «الجرح مقدم على التعديل». وكم زلت بسبب الجهل بهذه القاعدة أقدام وضلت أفهام، وبرهان ذلك:

أ-قال الحافظ السخاوي في «فتح المغيث شرح ألفية الحديث» (١٨٨/٢): «وقدَّم جمهور العلماء الجرح على التعديل مطلقًا استوى الطرفان في العدد أم لا، وقال ابن الصلاح: إنه الصحيح». اهـ.

٢- قلتُ: قاله الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» (ص٢٢٤- ط دار الكتب)، النوع (٢٣)، المسألة (الخامسة)، قال: «إذا اجتمع في شخص جرح وتعديل، فالجرح مقدم؛ لأن المعدل يخبر عما ظهر من حاله، والجارح يخبر عن باطن خفي على المعدل، وإن كان عدد المعدلين أكثر، فالصحيح الذي عليه الجمهور الجرح أولى».

٣- لذلك قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٣٠٩/١): «وإذا اجتمع في الراوي جرح مفسر وتعديل فالجرح مقدم ولو زاد عدد المعدل هذا هو الأصح عند الفقهاء والأصوليين، ونقله الخطيب عن جمهور العلماء؛ لأن مع الجارح زيادة علم لم يطلع عليها المعدل، ولأنه مصدق للمعدل فيما أخبر به عن ظاهر حاله، إلا أنه يخبر عن أمر باطن خفي عنه». اهـ.

٤- قلتُ: قول الإمام السيوطي: «ونقله الخطيب عن جمهور العلماء».

بالتحقيق وجدنا أن الإمام الحافظ الخطيب البغدادي ذكره في كتابه «الكفاية في معرفة أصول علم الرواية» (٣٣٦/١)، باب القول في الجرح والتعديل إذا اجتمعا أيهما أولى.

قال: «إذا عدل جماعة رجلًا وجرَّحه أقل عددًا من المعدلين فإن الذي عليه جمهور العلماء أن الحكم للجرح والعمل به أولى». اهـ.

قلتُ: وتأكيد الحافظ الخطيب بأن هذا هو الذي عليه جمهور العلماء لا يتأتى إلا من عالِم جهبذ خبير بفنون الحديث، كما بين ذلك الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص١٦) قال: «ثم جاء الخطيب أبو بكر البغدادي (٣٩٢-٤٦٣) فصنف في قوانين الرواية كتابًا سماه «الكفاية»، وقل فن من فنون الحديث إلا وقد صنف فيه كتابًا مفردًا، فكان كما قال الحافظ أبو بكر بن نقطة: «كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه». اهـ.

قلتُ: قاله أبو بكر بن نقطة في كتابه «التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد» (١٧٠/١).

وعلة أخرى: أمية بنت أبي الصلت: قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٥٩٠/٢): «أمية بنت أبي الصلت، لا يُعرَف حالها». اهـ.

وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (١٠٩٣٧/٦٠٤/٤): «أمية بنت الصلت الغفارية عن صحابية، تفرد عنها سليمان بن سحيم». اهـ.

قلتُ: وهذا يعني عند أهل الصنعة الحديثية في علم المصطلح التطبيقي أنَّ أمية بنت الصلت لم يَروِ عنها إلا راوٍ واحد.

بيَّن ذلك الإمام الذهبي وهو صاحب الاستقراء التام في علم الرجال، فقال: تفرد عنها سليمان بن سُحيم، فهي مجهولة العين.

حيث إن مجهول العين: «هو من ذكر اسمه ولكن لم يَروِ عنه إلا راوٍ واحد».

حكم روايته عدم القبول إلا إذا وُثق، فالرواية بهذه العلة عدم القبول لأنها لم تُوثق فتصبح القصة الغريبة بهذه العلة واهية.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

> «القاعدة عند أهل الحديث: أن الجرح مقدم على التعديل.»

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

تابع: أدلة السنة على إثبات (الكلام) و(النداء) على حقيقتهما لله تعالى.. على الوجه اللائق به سبحانه، ودحض ما اعتقده الأشاعرة حيالهما، بقصرهما على (الكلام النفسي) وجعلهما في المخلوقات

الحلقة (٦٤)

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فاستكمالاً لسرد أدلة السنة على إثبات صفة (الكلام) ودحض ما اعتقده الأشاعرة حيال هذه الصفة بقصرهم إياها على (الكلام النفسي).. نذكر من كلام النبي صلى الله عليه وسلم على إثبات حقيقتها ودحض ما اعتقدوه:

هـ: أدلة السنة على إثبات (القول) لله وإسناده إليه تعالى، وما أكثرها؛ ولكن نكتفي منها بـ:

٢٣- ما أخرجه البخاري (٧٤٩١) من قوله عليه السلام عن رب العزة: (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار)، وفي الفتح ١٣/ ٤٧٥- في بيان المقصود من ذكر هذا الحديث وما جاء على شاكلته- ما نصه: «والغرض منه هنا: إثبات إسناد القول إليه سبحانه وتعالى».

٢٤- وحديث عُبادة وفيه قوله عليه السلام: (أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب)، «قال ابن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية: حدثنا أبي، قال: قال أحمد بن حنبل: دل على أن القرآن غير مخلوق حديث عبادة».. وذكره، ثم قال: «وانما نطق القلم بكلامه لقوله: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (النحل/ ٤٠)، قال: فكلام الله سابق على أول خلقه، فهو غير مخلوق، وعن الربيع بن سليمان سمعت البويطي يقول: خلق الله الخلق كله بقوله (كن)، فلو كان (كن) مخلوقًا لكان قد خلق الخلق بمخلوق، وليس كذلك ا.هـ من الفتح ١٣/ ٤٥٢.

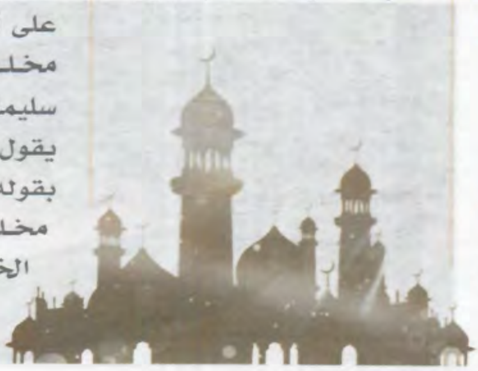

و: أدلة السنة على إنزال كتب الوحي على الوجه اللائق بصفاته تعالى والمنزه عن الجسمية، ونذكر منها:

٢٠- ما رواه البخاري (٧٤٨٨) عن البراء بن عازب، قال صلى الله عليه وسلم: يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل: (اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت).

٢١- وما رواه البخاري (٧٤٨٩) عن عبد الله بن أبي أوفى قال عليه السلام يوم الأحزاب: (اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب وزلزلهم)..

وفي رد عادية الجهمية في بعض ما احتجوا به قال ابن بطال- فيما نقله عنه ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤٧١-: «المراد بالإنزال: إفهام العباد معاني الفروض التي في القرآن، وليس إنزاله له كإنزال الأجسام المخلوقة، لأن القرآن ليس بجسم ولا مخلوق» ا.هـ.

٢٢- وقوله عليه السلام من حديث عمران بن حصين: (إن الله كتب في الذكر كل شيء)، «والقرآن مما كُتب في الذكر لقوله تعالى: (بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ) (البروج/ ٢١، ٢٢).. وفي ذلك دلالة على قِدَم القرآن ووجوده قبل وقوع الحاجة إليه»، كذا في الاعتقاد للبيهقي ص٧٩.

ز: أدلة السنة على: إثبات (الصوت والحرف) في كلام الله على النحو الذي يليق بجلاله مع اعتقاد التنزيه وعدم التشبيه.. ودحض ما اعتقده الأشاعرة في إنكارهما، ونذكر منها:

٢٨-ما أخرجه البخاري في باب (قول الله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ) (سبأ/ ٢٣)، من قوله صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن أنيس: «يَحشر الله العباد فيناديهم بصوت يَسمعه مَن بَعُد كما يسمعه مَن قَرُب، يقول: (أنا الملك أنا الدَّيان)»، قال بعض من أثبت الصوت: «في قوله: (يَسمعه مَن بَعُد) إشارة إلى أنه ليس من المخلوقات لأنه لم يعهد مثل هذا فيهم، وبأن الملائكة إذا سمعوه صُعقوا وإذا سَمِع بعضهم بعضًا لم يصعقوا»، قال: «فعلى هذا، فصوته صفة من صفات ذاته لا يشبه صوت غيره، إذ ليس يوجد شيء من صفاته من صفات المخلوقين»، هكذا قرره المصنف في كتاب (خلق أفعال العباد).

وذكره صاحب فتح الباري ١٣/ ٤٦٦، قال: وقول من أنكر الصوت- بزعم حلول الحوادث، وأن الحكمة في

> أدلة السنة على: إثبات (الصوت والحرف) في كلام الله على النحو الذي يليق بجلاله مع اعتقاد التنزيه وعدم التشبيه.

كونه خارقًا لعادة الأصوات المخلوقة المعتادة التي يظهر التفاوت في سماعها بين البعيد والقريب، هي: أن يُعلم أن المسموع كلام الله، كما أن موسى لما كلمه الله كان يسمعه من جميع الجهات- يَردُ عليه قول ابن حجر- بعد أن ساق حجج من أنكروا الصوت وقاسوه على أصوات المخلوقين-: «ولا يخفى ما فيه، إذ الصوت قد يكون من غير مخارج كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة» ا.هـ.

٢٩-وقوله عليه السلام من حديث أبي هريرة (٧٤٨١): (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان)، وروى غير واحد عن ابن مسعود مرفوعًا: (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات، فإذا فُزِّع عن قلوبهم- أي ذهب الفزع عنها- وسكن الصوت، عرفوا أنه الحق، ونادوا ماذا قال ربكم قالوا الحق).

وقد أخرجه أحمد عن أبي معاوية بلفظ: (إن الله عز وجل إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفاء فيُصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا جاءهم جبريل فُزِّع عن قلوبهم)، قال: (ويقولون: يا جبريل، ماذا قال ربكم؟ قال: يقول الحقّ، قال فينادون: الحقّ الحقّ).

> “ القراءة والتلاوة هما المتعلق بهما أفعال العباد، وهما اللذان يتفاضلون فيها بالحسن والطول والترتيل. ”

وفي رواية عند مردويه: (لما نزل جبريل بالوحي فزع أهل السماء لانحطاطه، وسمعوا صوت الوحي كأشد ما يكون من صوت الحديد على الصفا).. وعن ابن عباس أيضًا قوله – تفسيرًا للآية وللحديث، وقد ذكره له البخاري في (خلق أفعال العباد) ص١٣٩ -: «إذا قضى الله أمرًا، تكلم فرجفت الأرض والسماء والجبال، وخرت الملائكة كلهم سجدًا».

٣٠- وقوله عليه السلام: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)، «فأوضح أن قراءة القارئ وتلاوته، غير المقروء والمتلو، وإنما المتلو فاتحة الكتاب لا اختلاف فيه بين أهل العلم»، ونظيره قول علي بن أبي طالب: (نهى رسول الله عن قراءة القرآن في الركوع)، وقوله عليه السلام لقوم يقرؤون القرآن فيجهرون به: (خلطتم عليّ القرآن) «فنهى أن يرفع بعضهم على بعض صوته، ولا يخلطون على الناس في جهرهم وأصواتهم، ولم ينه عن القرآن ولا عن كلام الله الذي كلم به موسى قبل أن يخلق هذه الأمة».

كذا بما يعني أن المُحدث هو: القراءة والتلاوة فهما المتعلق بهما أفعال العباد، وهما اللذان يتفاضلون فيها بالحسن والطول والترتيل، فيقال: فلان حسن القراءة، ومنه قوله عليه السلام لما سئل أي الصلاة أفضل؟، قال: (طول القنوت)، «فذكر أن بعض الصلاة أطول من بعض وأخف، وأن بعضهم يزيد على بعض في القراءة وبعضهم ينقص، وليس في القراءة زيادة ولا نقصان»، ذلك أن المقروء والمتلو هو كلام الله وهو غير مخلوق، كذا ذكره البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٥٤، ١٦٢، ١٦٦، ١٥٢.

٣١-وقوله عليه السلام من حديث أبي سعيد الخدري في الصحيحين: (يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيُنادى بصوت: إن الله يأمرك أن تُخرج بعثًا إلى النار).

وفي تعليقه على هذا الحديث ورد شبهة

الأشاعرة في الاتكاء عليه لنصرة مذهبهم وأنه ليس بلازم أن الذي يناديه ملك؛ يقول البيهقي في (الأسماء والصفات) ص٣٨٨: «فيه ما دل على أن القول لآدم لا يكون على لسان مَلك يناديه بصوت: (إن الله يأمرك)، فيكون قوله: (فيُنادي بصوت)، يعني: (يناديه ملك بصوت)، وهذا ظاهر في الخبر» ا.هـ.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤٦٦ تعقيبًا على كلام البيهقي وقد سبق أن ذكرناه: «وهذا حاصل كلام من ينفي الصوت من الأئمة، ويلزم منه أن الله لم يُسمع أحدًا من ملائكته ورسله كلامه، بل ألهمهم إياه، وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين، لأنها التي عُهد أنها ذات مخارج، ولا يخفى ما فيه، إذ الصوت قد يكون من غير مخارج كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة، لكن نمنع القياس المذكور، وصفات الخالق لا تقاس على صفة المخلوق، وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الايمان به» ا.هـ.

ثم قال بعد أن ساق الروايات في ذلك: وبه «استدل البخاري- في كتاب (خلق أفعال العباد) ص٤٥- على أن الله يتكلم كيف شاء وأن أصوات العباد مؤلفة حرفًا حرفًا فيها التطريب والترجيع»، كما استُدل على ذلك بـ:

٣٢-حديث أم سلمة، وفيه: (ونَعتت قراءته صلى الله عليه وسلم، فإذا قراءته حرفًا حرفًا)، وهذا أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما، قال ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤٦٩ بعد أن ذكر إنكار المعتزلة ومن لف لفهم من الأشاعرة أن يكون كلام الله بحرف وصوت: «أثبتت الحنابلة أن الله متكلم بحرف وصوت، أما الحروف فللتصريح بها في ظاهر القرآن، وأما الصوت فمن منع قال: إن الصوت هو الهواء المنقطع المسموع من الحنجرة، وأجاب من أثبته بأن الصوت الموصوف بذلك هو المعهود من الآدميين كالسمع والبصر، وصفات الرب بخلاف ذلك فلا يلزم المحذور المذكور مع اعتقاد التنزيه وعدم التشبيه، وأنه يجوز أن يكون من غير الحنجرة فلا يلزم التشبيه، وقد قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة: سألت أبي عن قوم يقولون: لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت، فقال لي أبي: (بل تكلم بصوت، هذه الأحاديث تروى كما جاءت).. وذكر حديث ابن مسعود وغيره» ا.هـ.

والى لقاء آخر نستكمل الحديث، والحمد لله رب العالمين.

> **إن الله تبارك وتعالى يتكلم كيف شاء ومتى شاء ،وصفات الخالق لا تقاس على صفة المخلوق .**

من كنوز الجنة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعدُ:

فلما كانت أعمار أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قصيرة، كما أخبر عليه الصلاة والسلام: «أعمارُ أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوزُ ذلك». (صحيح الجامع: ١٠٧٣)؛ فإن الله سبحانه وتعالى هيأ لهم الكثير من الأعمال الصالحة القولية والفعلية الميسرة، ورتّب عليها أجورًا عظيمة يرتقي بها المؤمن درجات عالية في الجنة، وهذا مشروط بالإيمان والإخلاص لله تعالى، وأداء الفرائض واجتناب الكبائر، ومن أفضل الأعمال اليسيرة التي ليست لتاركها عذر: ذكرُ الله تعالى.

إعداد **عبده أحمد الأقرع**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة، إلا جعل لها حدًا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإن اللَّه تعالى لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على تركه، فقال: «اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» (الأحزاب:٤١)، قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم، بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. (تفسير القرآن العظيم: ٣/٤٩٥).

عن عائشة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من ساعة تمر بابن آدمَ، لم يذكر اللهَ فيها، إلا تحسر عليها يوم القيامة». (صحيح الجامع: ٥٧٢٠).

والناظر في كتاب الله تعالى يجد أن الله تعالى أمر بالإكثار من ذكره، فقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» (الأحزاب:٤١)، وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الأنفال:٤٥).

وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الجمعة:٩، ١٠).

وقال تعالى: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب:٢١).

ومدح الله المكثرين من ذكره وبين ما لهم من عظيم الأجر، فقال تعالى: «وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» (الأحزاب:٣٥).

فأمر الله تعالى بالكثرة من ذكره، وذلك لشدة حاجة العبد إلى ذلك وافتقاره إليه أعظم الافتقار، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، والله تعالى حذر من الغفلة عن ذكره، فقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ» (المنافقون:٩)، وقال تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ» (طه:١٢٤-١٢٦).

> «إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة، إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه.»

وبيَّن سبحانه وتعالى أن سبب الغفلة عن ذكره الشيطان، قال تعالى: «ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ» (المجادلة:١٩)، وقال تعالى: «وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ» (الزخرف:٣٦)، وبين سبحانه أن قلة ذكره من صفات المنافقين، فقال سبحانه: «إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا» (النساء:١٤٢).

ونبي الله موسى عليه السلام سأل الله تعالى أن يعينه بأخيه هارون على ذكره كثيرًا؛ قال الله تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: «وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى (٢٩) هَٰرُونَ أَخِى (٣٠) ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى (٣٢) كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ» (طه:٢٩-٣٦).

إن ذكُر الله من أعظم المقاصد التي شُرِعت من أجلها العبادات:

ففي الصلاة، قال الله تعالى: «وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ» (طه:١٤).

وفي الحج: قال الله تعالى: «وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ» (الحج:٢٨).

وفي أداء المناسك: قال الله تعالى: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ» (الحج:٣٤).

وفي الصيام: قال الله تعالى: «وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (البقرة:١٨٥).

وفي بناء المساجد: قال الله تعالى: «فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ» (النور:٣٦).

فوائد ذكر الله تعالى:

وفوائد ذكر الله أكثر من أن تحصر، ولكن نذكر ببعضها:

منها: أن ذكر الله يجلب لقلب الذاكر الفرح والسرور والرضى والطمأنينة، قال الله تعالى: «ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ» (الرعد:٢٨)، يقول شيخ

> **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟!**

الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء». (الوابل الصيب: ص٨٥).

ومنها: ذكرُ الله للذاكر. قال الله تعالى: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» (البقرة:١٥٢).

ومنها: معية الله للذاكر:

قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: «أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خيرٍ منهم». متفق عليه.

ومنها: نجاة من عذاب الله:

قال صلى الله عليه وسلم: «ما عمل آدميٌّ عملاً أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى». (صحيح الجامع: ٥٦٤٤).

ومنها: سببٌ لنزول الملائكة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقعدُ قومٌ يذكرون اللهَ إلا حفَّتْهم الملائكةُ، وغشيتهمُ الرحمةُ، ونزلتْ عليهم السكينةُ، وذكرهم اللهُ فيمن عنده». (مسلم: ٢٧٠٠).

ومنها: مباهاة الله بالذاكرين:

خرج مُعاوية رضي الله عنه على حلْقةٍ في المسجد، فقال: ما أجلسَكُمْ؟ قالوا: جلسْنا نذكُرُ اللَّهَ، قال آللَّه ما أجلسَكُمْ إلا ذاكَ؟ قالوا: واللَّه ما أجلسنا إلا ذاكَ، قال: أما إنِّي لمْ أسْتحْلِفْكُمْ تُهْمةً لكُمْ، وما كان أحدٌ بمنْزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقلَّ عنه حديثًا منِّي، وإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلْقة من أصْحابه، فقال: ما أجلسكُمْ؟ قالوا: جلسْنا نذْكُرُ اللَّه ونحْمدُهُ على ما هدانا للإسْلام، ومنَّ به عليْنا، قال: آللَّه ما أجْلسكُمْ إلا ذاكَ؟ قالوا: واللَّه ما أجْلسنا إلا ذاكَ، قال: أما إنِّي لمْ أسْتحْلفْكُمْ تُهْمةً لكُمْ، ولكنَّهُ أتاني جبْريلُ فأخْبرني، أنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ يُباهي بكُمُ الملائكة. (مسلم: ٢٧٠١).

ومنها: الذكر عصمة من الشيطان:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن يحيى بن زكريا قال لبني إسرائيل: وآمركم بذكر الله كثيرًا، فإن مثل ذكر الله كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره حتى أتى حصنًا حصينًا فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبدُ لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله». (صحيح الجامع: ١٧٢٤).

ومنها: حياة القلب:

قال صلى الله عليه وسلم: «مثلُ الذي يذْكُرُ ربَّهُ والذي لا يذْكُرُ ربَّهُ، مثلُ الحيِّ والميِّت». (البخاري: ٦٤٠٧).

ومنها: أن الألسن ترطب بذكر الله.

عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه: أنَّ أعرابيًا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ شرائعَ الإسلام قد كثُرتْ عليَّ، فأنبئني منها بشيءٍ أتشبَّثُ به، قال: «لا يزالُ لسانُك رطبًا من ذكر الله عز وجل». (صحيح الجامع: ٧٧٠٠).

ومنها: أن الذاكرين هم السابقون: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، يسيرُ في طريق مكَّة، فمرَّ على جبلٍ يُقالُ له جُمْدانُ، فقال: سيرُوا هذا جُمْدانُ، سبقَ المُفرِّدُون قالوا: وما المُفرِّدُون؟ يا رسولَ الله، قال: الذَّاكرُون اللهَ كثيرًا، والذَّاكراتُ». (مسلم: ٢٦٧٦).

ومنها: أنَّ ذكر الله عز وجل هو أزكى الأعمال وخيرها، وأفضلها عند الله تبارك وتعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكُم بخيرِ أعمالِكُم وأزكاها عند مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم، وخيرٌ من إعطاء

الذهب والورق، وأن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكرُ الله». (صحيح الجامع: ٢٦٢٦).

ومنها النجاة من اللعن:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا أو متعلمًا». (صحيح الجامع: ٣٤١٤).

ومنها: مغفرة الذنوب:

قال صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمع قومٌ على ذكر الله فتفرقوا عنه إلا قيل لهم: قوموا مغفورًا لكم». (صحيح الجامع: ٥٥٠٧).

ومنها: طيب المكان:

> هيأ الله سبحانه وتعالى لأمة محمد الكثير من الأعمال الصالحة القولية والفعلية الميسرة، ورتّب عليها أجورا عظيمة يرتقي بها المؤمن درجات عالية في الجنة، وهذا مشروط بالإيمان والإخلاص لله تعالى.

قال صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمع قومٌ، ثم تفرقوا عن غير ذكر الله، وصلاة على النبيّ، إلا قاموا عن أنتن من جيفة». (صحيح الجامع: ٥٥٠٦).

ومنها: أنه أفضل عند الله:

قال صلى الله عليه وسلم: «ليس أحدٌ أفضل عند الله من مؤمن يعمرُ في الإسلام، لتكبيره، وتحميده، وتسبيحه، وتهليله». (صحيح الجامع: ٥٣٧١).

معنى: «يعمر» يطول عمره.

ومنها: خيرُ العمل عند فراق الدنيا:

قال صلى الله عليه وسلم: «خيرُ العمل أن تفارق الدنيا، ولسانك رطبٌ من ذكر الله». (صحيح الجامع: ٣٢٨٢).

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

رحيل الشيخ شاكر محمد الجنيدي

فقدت جمعية أنصار السنة المحمدية بمصر رجلاً من رجالها المؤثرين، ممن كان لهم باع كبير وجهد في الدعوة إلى الله تعالى، إنه فضيلة الشيخ الوالد/ شاكر محمد الجنيدي، والد الدكتور عبد الله شاكر، الرئيس العام لجماعة أنصار السنة.

كان الشيخ رحمه الله يتنقل في ربوع البلاد داعيًا إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان حريصًا على نشر دعوة التوحيد واتباع السنة، وظل مثابرًا على دعوته بمفرده، أو بصحبة علماء الجماعة؛ بدءا من فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي، ومن جاء بعده من علماء الجماعة السابقين، رحمهم الله جميعًا.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد، والعاملون بالمجلة، واللجنة العلمية، وأعضاء مجلس إدارة المركز العام يتقدمون بخالص العزاء والمواساة إلى أسرة الشيخ، رحمه الله، ويدعون الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يجعله في الفردوس الأعلى، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وانا اليه راجعون.

رئيس التحرير

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي يوم الخميس ٢٠٢٠/١/٩م الموافق ١٤ جمادى الأولى ١٤٤١هـ الشيخ بشير الحاج أستاذ حسن شلالي، عضو مجلس إدارة فرع عابدين.

وأسرة تحرير المجلة يتقدمون بخالص العزاء والمواساة، سائلين المولى سبحانه أن يرحمه رحمة واسعة.

ثمرات قضاء حوائج الناس

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَم عَلى نَبِينَا مُحَمَّدٍ، القدوة الحَسَنَة، وعَلى آله وصحبه أجْمعِينَ.

أمَّا بَعْدُ: فإنَّ قضَاء حَوائج النَّاس المَشْرُوعة لهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ، وَهوَ من الأعمال الصالحة التي يتقربُ بها المسلم إلى الله تعالى، ليرفع رصيده من الحسنات. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد **صلاح نجيب الدق**

قضاء حوائج الناس وصية رب العالمين:

قَــالَ جَــلَّ شَــأنُــهُ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الحج:٧٧).

إنَّ قضاء حوائج النَّاس المشروعة مِنْ أفضل وسائل فعْل الخير.

قضاء حوائج الناس سبيل الحسنات:

حثنا اللهُ تعالى على السعي في قضاء حوائج الناس؛ لأن ذلك من وسائل التقرب لله تعالى والحصول على الحسنات.

قال اللهُ تعالى: (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (المزمل: ٢٠).

وقال سُبحانه: (مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا) (النساء: ٨٥).

وعن أَبِي مُوسَى الأشْعَرِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليْه وَسَلَّمَ، إِذا جَاءَهُ السَّائلُ أَوْ طُلبَتْ إِلَيْه حَاجَةٌ قالَ: اشْفَعُوا تُؤجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلى لِسَانِ نَبِيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَا شَاءَ. (البخاري: ١٤٣٢، ومسلم: ٢٦٢٧).

اصطفاء الله للذين يقضون حوائج الناس:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: إنَّ لِلَّه عِبَادًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَم لمَنَافِعِ العِبَاد، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ. (صحيح الجامع- للألباني: ٢١٦٤).

الله تعالى يحب الذين يقضون حوائج الناس:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: أَحَبُّ النَّاسِ إِلى

اللَّه أنفعهُمْ للنَّاس. (صحيح الجامع- للألباني:١٧٦).

المؤمنون الذين يقضون الحوائج مفاتيح الخير:

عَنْ أنَس بْنِ مَالك، رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: إنَّ منَ النَّاس مَفَاتيحَ للْخَيْر، مَغَاليقَ للشَّرِّ، وَإنَّ منَ النَّاس مَفَاتيحَ للشَّرِّ، مَغَاليقَ للْخَيْر، فطوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتيحَ الْخَيْر عَلَى يَدَيْه، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْه. (صحيح ابن ماجه- للألباني: ١٩٤).

قَوْلُهُ: (إنَّ منَ النَّاس مَفَاتيحَ للْخَيْر) أيْ: أنَّ اللَّهَ تَعَالَى أجْرَى عَلَى أيْديهِمْ فتْحَ أبْوَاب الْخَيْر كَالْعِلْم وَالصَّلَاح عَلَى النَّاس حَتَّى كَأنَّهُ مَلَّكَهُمْ مَفَاتيحَ الْخَيْر وَوَضَعَهَا في أيْديهِمْ. (حاشية السندي على سنن ابن ماجه- ص ١٠٤).

أفضل المؤمنين الذين يقضون حوائج الناس:

عَنْ جَابِر بْنِ عَبْد اللَّه، رَضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: الْمُؤْمنُ يَألَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فيمَنْ لَا يَألَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاس أنْفَعُهُمْ للنَّاس. (صحيح الجامع للألباني: ٦٦٦٢).

الله في عون الذين يقضون حوائج الناس:

عَنْ عَبْد اللَّه بْن عُمَرَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ كَانَ في حَاجَة أخيه كَانَ اللَّهُ في حَاجَته. (البخاري: ٢٤٤٢، ومسلم: ٢٥٨٠)

قَوْلُهُ: (كَانَ في حَاجَة أخيه) أيْ: سَعَى في قَضَاء حَاجَة أخيه.

قَوْلُهُ: (كَانَ اللَّهُ في حَاجَته) أيْ:أعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَسَهَّلَ لَهُ قَضَاء حَاجَته. (فتح الباري- لابن حجر العسقلاني ٥/٩٧).

قضاء حوائج الناس من وسائل وحدة المجتمع:

عَنْ أبي مُوسَى، رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الْمُؤْمنُ للْمُؤْمن كَالْبُنْيَان يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. وَشَبَّكَ بَيْنَ أصَابعه. (البخاري: ٢٤٤٦/ ومسلم: ٢٥٨٥).

قَالَ الإمَامُ علي الهروي: هَذَا الْحَديثُ مَعْنَاهُ: أنَّ الْمُؤْمنَ لَا يَتَقَوَّى في أمْر دينه أوْ دُنْيَاهُ إلَّا بِمَعُونَة أخيه، كَمَا أنَّ بَعْضَ الْبنَاء يُقَوِّي بَعْضَهُ. (مرقاة المفاتيح- علي الهروي- ٧/٣١٠٢).

قضاء حوائج الناس سبيل المحبة بين المسلمين:

عَن النُّعْمَان بْن بَشير، رَضيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: مَثَلُ الْمُؤْمنينَ في تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَد إذَا اشْتَكَى منْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائرُ الْجَسَد(أيْ دَعَا بَعْضُهُ بَعْضًا إلَى الْمُشَارَكَة في ذَلكَ) بِالسَّهَر وَالْحُمَّى. (مسلم: ٢٥٨٦).

قَالَ الإمَامُ النَّوَوِيُّ: هَذَا

> حثنا الله تعالى على السعي في قضاء حوائج الناس؛ لأن ذلك من وسائل التقرب لله تعالى والحصول على الحسنات.

الحديثُ صريحٌ في تعظيم حُقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثّهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثمٍ ولا مكروه. (مسلم بشرح النووي- ٣٨٥/٨).

قضاء حوائج الناس أمان للمسلم يوم القيامة:

روى ابنُ أبي الدنيا والطبرانيُّ عنْ ابْن عمر، رضيَ اللّهُ عنْهما، قال: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: منْ مشى مع أخيه في حاجةٍ حتّى أثْبتها لهُ، أثْبتَ اللّهُ عزَّ وجلَّ قدمهُ على الصّراط يوْمَ تزلُّ فيه الأقْدامُ. (صحيح الجامع- للألباني:١٧٦).

روى مسلمٌ عنْ أبي اليَسر، رضيَ اللّهُ عنهُ،قال: قال رسُول الله صلَّى اللّهُ عليْه وسلَّم: منْ أنْظر مُعْسرًا أوْ وضعَ عنْهُ، أظلَّهُ اللّهُ في ظلِّه (مسلم: ٣٠٠٦).

التحذير من عدم قضاء حوائج الناس مع الاستطاعة:

عن عَمْرو بْن مُرّةَ الجُهَنيّ، رضيَ اللّهُ عنْهُ، أنّهُ قال لمعاوية بْن أبي سُفْيان، رضيَ اللّهُ عنْهُما: إنّي سمعْتُ رسُول الله صلّى اللّهُ عليْه وسلّم يقولُ: ما منْ إمامٍ يُغْلقُ بابهُ دُون ذوي الحاجة، والخلّة (الفقْر)، والمسْكنة إلا أغْلق اللّهُ أبْواب السّماء دُون خلّته، وحاجته، ومسْكنته. فجعل مُعاويةُ رجلاً على حوائج النّاس. (صحيح الترمذي- للألباني:١٠٧١).

نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة في قضاء حوائج الناس:

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو المثلُ الأعلى، والقدوةُ الحسنة لكل مسلم، يريدُ أن يَصلَ إلى كمال الأخلاق. قال تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب:٢١).

سوف نَذْكُرُ صورًا من حرص نبينا محمدصلى الله عليه وسلم على قضاء حوائج الناس:

(١) عنْ أنس بْن مالك، قال: كانت الأمةُ (الجارية المملوكة) منْ إماء أهْل المدينة، لتأخُذُ بيد رسُول الله صلى اللّهُ عليْه وسلّم فتنْطلقُ به حيْثُ شاءتْ. (البخاري:٦٠٧٢).

قولُهُ: (فتنْطلقُ به حيْثُ شاءتْ) أيْ: يذْهبُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم مع الجارية إلى حيْثُ شاءتْ من الأمْكنة. ولوْ كانتْ حاجةُ الجارية خارج المدينة والتمستْ منهُ صلى الله عليه وسلم مُساعدتها في قضاء تلك الحاجة لساعدها النبيُّ صلى الله عليه وسلم على ذلك. وهذا الحديثُ دليلٌ على مزيد تواضعه وبراءته صلى الله عليه وسلم منْ جميع أنواع الكبْر. (فتح الباري- لابن حجر العسقلاني- ١٠/ ٤٩٠)

(٢) عنْ أنس بْن مالك، رضي اللّهُ عنْهُ، أنّ امرأةً كانَ في عقلها شيْءٌ (أيْ من الخفّة)، فقالتْ: يا رسُول الله إنّ لي إليْك حاجةً. فقال: يا أمّ فُلان انْظري أيّ السّكك شئْت، حتّى أقْضيَ لك حاجتك. فخلا معها في بعْض الطُّرق، حتّى فرغتْ منْ حاجتها. (مسلم: ٢٣٢٦).

قال الإمامُ النووي: هذا الحديث فيه دليلٌ على صبْره صلى الله عليه وسلم على المشقّة في نفْسه لمصلحة المسْلمين وإجابتُهُ منْ سألهُ حاجةً. (مسلم بشرح النووي ٨٢/١٥).

(٣) عن ابْن عبّاس، رضيَ اللّهُ عنْهما، أنّ زوْج بريرةَ كان عبْدًا يُقالُ لهُ مُغيثٌ، كأنّي أنْظُرُ إليْه يطُوفُ خلْفها يبْكي ودُمُوعُهُ تسيلُ على لحْيته، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لعبّاس: يا عبّاس، ألا تعْجبُ منْ حُبّ مُغيثٍ بريرة، ومنْ بُغْض بريرة مُغيثًا، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: لوْ راجعْته. قالتْ: يا رسُول الله تأمُرُني؟

قـال: إنمـا أنـا أشفـع. قالت: لا حـاجـة لي فـيـه. (الـبـخـاري: ٥٢٨٣).

قضاء الصحابة لحوائج الناس:

كان أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يجتهدون في قضاء حوائج النّاس، وسوف نذكر صورا من ذلك:

(١) عَنْ أنس بن مَالك، رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قـال: لَمّا قـدم النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم المدينة أتاهُ المُهاجرُون فقالُوا: يا رَسُول اللَّه، ما رأيْنا قوْمًا أبْذل منْ كثِيرٍ ولا أحْسنَ مواساةً منْ قليلٍ (منْ مال قليل) منْ قوْم (الأنصار) نزلْنا بيْنَ أظْهُرهِمْ (عنْدهُمْ) لقدْ كفوْنا المُؤْنة وأشْركُونا في المهْنإ (أحْسنُوا إليْنا سواءً كانُوا كثيري المَال أوْ فقيري الحَال) حتّى لقدْ خفْنا أنْ يذْهبُوا بالأجْر كُلّه. فقال النّبيّ صلى اللَّهُ عليْه وسلّم: لا، ما دعوْتُمُ اللّه لهُمْ وأثْنيْتُمْ عليْهمْ. (صحيح الترمذي- للألباني: ٢٠٢٠).

(٢) كـان عـمـر بـن الخـطـاب رَضي اللَّهُ عنْهُ يتعهد عجوزا كبيرةً عمْياء في بعض نواحي المـديـنـة بالليل فيسقي لها ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجَـد غـيره قـد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلا يُسبقَ إليها، فرصده عُمرُ، فإذا هو أبو بكر الصديق، رضيَ اللَّهُ عنْهُ الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة. (تاريخ الخلفاء- للسيوطي- صـ ٧٥).

(٣) عنْ عُثْمانَ بْن عفّان، رضي اللَّهُ عنْهُ، قـال: إنّ رسُول اللّه، صلى الله عليه وسلم، قـدم المدينَة وليْس بها ماءٌ يُسْتعْذبُ غـيْرُ بـئْـر رُومـةَ فـقـال رسُـولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: منْ يشْتري بئْر رُومة فيجْعل دلْوهُ مـع دلاء المُسْلمين بـخـيْرٍ لـهُ منْها في الجنّة؟ فاشْتريْتُها منْ صُلْب مالي. (صحيح الترمذي- للألباني: ٢٩٢١).

> **كان أصـحـاب نبيـنـا محمد صـلى الله عليـه وسـلم يجتهدون في قضاء حوائج النّاس.**

(٤) عن النّزّال بْن سبْرة، يُحدّثُ عَـنْ عـلـيٍّ، رضـي اللّهُ عـنْـهُ: أنّـهُ صلّى الظُّهْر، ثُـمّ قعد في حوائج النّاس في رحبة الكُوفة، حتّى حضرتْ صـلاةُ العصْر. (البخاري: ٥٦١٦).

قضاء حوائج غير المسلمين:

الشريعة الإسلامية المباركة تحثنا على قضاء حوائج غير المسلمين المسالمين لنا. وسوف نذْكُر صورا من ذلك:

(١) كتَب خالدُ بْنُ الْوليد رضي الله عنه، عـقـد الـذّمّـة لأهْـل الْحـيرة بالعراق، زمـن خلافة أبـي بكْر الصديق، فقال فيه: أيّمـا شيْخٍ ضعُف عنْ الْعمل، أوْ أصابتْهُ آفةٌ،أوْ كان غنيًّا فافْتقر وصـار أهْـلُ ديـنـه يتصدّقُون عليْه، طُرحتْ جزْيتُهُ، وعيل منْ بيْت مال الْمُسْلمين وعيالُهُ ما أقام بدار الْهجْرة ودار الإسْلام. (الخـراج- لأبـي يـوسـف- صـ ١٤٤).

(٢) قال عبدُ الله بن أبي حدْرد: لما قدمنا مع عمر بن الخطاب الجابية(مكان) إذا هو بشيخ مـن أهـل الـذمـة (أيْ مـن غير المسلمين) يسْتطْعمُ، (يطلبُ طعامًا من الناس)؛ فسأل عنه فقلنا: يـا أمـير المـؤمـنـين، هذا رجُلٌ من أهل الذّمّة كبر وضعف فـوضـع عـنـه عـمـر الجـزيـة التي في رقبته وقـال: كلفتموه الجزية حتى إذا ضعف تركتموه يستطعم، فأجرى عليه من بيت المـال عشرة آلاف دراهـم، وكان له عيال. (تاريخ دمشق- لابن عساكر٢٧/ ٣٣٤).

(٣) كتب عُمرُ بْنُ عبْد الْعزيز إلـى عـديّ بـنْ أرْطـاة، (أمـير الْبصْرة): انْظُرْ منْ عنْدك منْ أهْـل الـذّمّـة قـدْ كـبـرتْ سنُّهُ، وضـعُـفتْ قُـوّتُـهُ، وولّـتْ عنْهُ المَكاسبُ، فأجْر عليْه منْ بيْت مال الْمُسْلمينَ ما يُصْلحُهُ، فلوْ أنّ رجُلاً منَ الْمُسْلمينَ كانَ لهُ مَمْلُوكٌ كبرتْ سنُّهُ وضعُفتْ قُوّتُهُ وولّتْ عنْهُ المَكاسبُ كانَ منَ الْحقّ عليْه أنْ يقُوتهُ حتّى يُفرّق بيْنهُما موْتٌ أوْ عتْقٌ. (الأمـوال- لأبي عُبيد القاسم بن سلام- صـ٥٠).

وآخـرُ دعْوانا أن الْحمْدُ للّه ربّ الْعالمين.

وصلّى اللّهُ وسلّمَ على نبيّنا مُحمّد، وعلى آلـه، وأصْحابه، والتّابعينَ لهُمْ بإحْسانٍ إلى يوْم الدّين.

مفهوم لغة الجسد في القرآن والسنة (٣)

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن لغة الجسد في القرآن والسنة، وكنا في العدد الماضي نتحدث عن شواهد التأصيل الشرعي للغة الجسد (القرآن الكريم)، ونكمل فنقول- وبالله تعالى التوفيق-:

١٤- تمزيق ثوب الغير:

هذه إيماءة توحي بأشياء كثيرة منها: رغبة الغالب المسيطر في إذلال مغلوبه، وإشعاره بالذلة والمهانة، أو محاولة الضعيف المهزوم التخلص من القوي بأية طريقة ولو بتمزيق ثيابه، أو علامة على المقاومة وعدم الاستسلام، أو الرغبة في كشف عورة الطرف الآخر حبًا في الاستمتاع والتلذذ بفعل التمزيق، وبجسمه المكشوف. وقد يكون التمزيق رغبة في منع شخص من الهرب والفرار كما هو الحال في قوله

إعداد د. ياسر لمعي

تعالى: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ (يوسف: ٢٥). تريده أن يبقى ولا يخرج، وهو يريد أن يخرج ولا يبقى؛ ولذلك كان التمزيق من الخلف، «فأسرع يريد الباب ليخرج، وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج»، ثم ظهر جليًا لمن فكر وقرأ الموقف أن يوسف فر وهي خلفه تجذبه (الزمخشري، تفسير الكشاف: ٢/٤٤١).

١٥- المسافة بين الجالسين:

إن المساحة القريبة من الإنسان والمحيطة به، يعتبرها الإنسان من ممتلكاته الخاصة، ولذلك يدافع عنها بقوة، ولا يسمح لأي إنسان أن يقربها أو يقتحمها إلا برضاه، والأشخاص الوحيدون المسموح لهم بدخولها هم القريبون منه عاطفيًا، كالوالدين، والزوجة، والأولاد، والإخوة، والأصدقاء؛ ولذا نجد يوسف عليه السلام يقرب والديه بعد معانقتهما، ويجلسهما إلى جنبه على العرش دلالة على

الحفاوة والقرب، والمساواة في المنزلة والمكانة، قال تعالى: «وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ» (يوسف: ١٠٠)، ورفع أبويه على العرش، في ذلك دلالة على إكرامه لوالديه وتقديره لهما.

١٧ - عبوس الوجه:

قد يكون الإنسان عابس الوجه إذا كان حزينًا، أو مهمومًا، أو كئيبًا، أو مريضًا، أو مهزومًا، أو غاضبًا، أو عاشقًا مكسورًا، أو منبوذًا، وقد يستخدم الإنسان العبوس كوسيلة للرفض والإعراض، قال تعالى: «عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ① أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ» (سورة عبس، آية: ١-٢)؛ فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان مع صناديد قريش يدعوهم للإسلام، وجاءه ابن أم مكتوم الأعمى وطلب منه أن يعلمه مما علمه الله، وهو لا يعلم أنه مشغول بالقوم، فعبس وأعرض عنه (تفسير الكشاف: ٤/ ٦٨٧).

وجاءه العتاب علمًا بأن الآخر أعمى ما رأى وجه النبي، ولكن لكي نتعلم من بشرية النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذه بعض الأمثلة من القرآن الكريم وليست استقراءً له، ومن يطالع الكتاب الحكيم يجد فيه من الإشارات والإيماءات الكثير، شواهد التأصيل الشرعي للغة الجسد في السنة النبوية:

وكذلك حوت السنة بعض قراءات للغة الجسد، نذكر منها بعض الأمثلة استشهادًا، وليس حصرًا:

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: **كنا إذا سمعنا القائل يقول كان رسول الله: ابتدرته الأبصار**، فإن ابتدار الأبصار لمن هم بالقول أو تكلم وصدر كلامه بقوله: كان رسول الله أو سمعت رسول الله نظر الجميع إليه كأنهم يستجدون منه الحديث؛ مما يبعث فيه الطمأنينة والإلهام فيكمل الحديث، فلولا إشعارهم للمتكلم بالتبعية النظرية والانصياع والإنصات والتواصل البصري ما نجح الحوار.

كذلك كان الصحابة يلاحظون تحركات النبي صلى الله عليه وسلم ويعرفون في عينيه الغضب والفرح، كما جاءت السيرة بذلك ففي حديث وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الذي ترويه عائشة رضي الله عنها كما في صحيح البخاري: «إن من نعمة الله عليّ أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي، بين سحري ونحري، وأن الله قد جمع بين ريقه وريقي عند موته، دخل علي عبدالرحمن وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك فقلت له: آخذه لك؟ فأشار برأسه أي نعم. فتناوله فاشتد عليه، وقلت ألينه لك؟ فأشار برأسه أي نعم. فلينته» (أخرجه البخاري (٤٤٤٩)).

فمما تقدم نجد أن هناك تواصلاً حدث بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين زوجه أمنا عائشة رضي الله عنها وكان تواصلاً فعالاً ناجحًا؛ إذ إن عائشة تجيد قراءة لغة الجسد، إذ إنها قرأت هذا في عينيه ورغبته في السواك، والنبي صلى الله عليه وسلم استعملها برأسه، وهي تتواصل معه بصريًا فكان اللقاء الأخير لقاءً ناجحًا ورسالة واضحة؛ وذلك لأنها أحسنت البدايات ففازت بالنهايات.

هذا ما استطعت جمعه من مصادر الكتب المتخصصة، معلقًا عليه، ومستخلصًا ما فهمته، ناصحًا للدعاة والأئمة والمتخصص وللمعلم وللإداري وللمدرب ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

من كرامات أهل القرآن وحُسْن خاتمتهم

الحلقة الأخيرة

د/ أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد امتنَّ الله على بعض أهل القرآن بكرامات أجراها على أيديهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- في العقيدة الواسطية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء»، قال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله- في شرحه للعقيدة الواسطية (ص ٦٢٦): «والكرامة أمر خارق للعادة، يجريه الله تعالى على يد ولي: تأييدًا له، أو إعانة، أو تثبيتًا، أو نصرًا للدين».

ومن كرامات أهل القرآن التي ذكرها

الإمام الذهبي في كتابه (معرفة القراء الكبار):

- مكي بن أبي طالب المقرئ: صاحب التصانيف (ت ٤٣٧هـ):

«كان خيِّرًا متدينًا مشهورًا بالصلاح، وإجابة الدعوة، دعا على رجل كان يَسْخَر به وقت الخطابة، فأُقْعِدَ ذلك الرجل» (ص ٤٢١)

- يعقوب بن يوسف بن عمر الحربي الإمام المقرئ (ت٥٨٧هـ):

قال عنه ابن النجار: «كان صالحًا من أعيان القراء الموجودين الضابطين، قرأ عليه خلق كثير بالروايات، وكان قد يسَّر الله عليه التلاوة، وإذا دخل المسجد ركع تحيته، فتلا فيها سبعًا أسرع من قراءة غيره كثيرًا». (ص ٥٩٤).

- الإمام الشاطبي القاسم بن فيره المقرئ الضرير أحد الأعلام (ت ٥٩٠هـ):

قال: «كنت في طريق وتخلف عني من معي، وأنا على الدابة، فأقبل اثنان فسبَّني أحدهما سبًّا قبيحًا، وأقبلت على الاستعاذة، وبقي كذلك ما شاء الله تعالى، فقال له الآخر: دعه، وفي تلك الحال لحقني من كان معي فأخبرته بذلك فطلب يمينًا وشمالاً فلم يَرَ أحدًا. (ص ٦١٥).

- شعلة محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الموصلي المقرئ (ت ٦٥٦هـ):

قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم، فطلبت منه العلم، فأطعمني تمرات فأكلتها، قال أبو الحسن الإربلي: فمن ذلك الوقت فُتِحَ عليه وتكلم» (ص ٧٣٣).

- الكواشي أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع موفق الدين أبو العباس المقرئ المفسر(ت ٦٨٠هـ):

كان عالمًا بالقراءات والتفسير والعربية، صنَّف التفسير الكبير والصغير، مع الزهد والصلاح والصدق والورع، قال الإمام الذهبي: بلغنا أنه

اشترى قليل قمح من قرية الجابية؛ لكونها من فتوح عمر-رضي الله عنه-، وذلك ثلاثة أمداد، فحملها إلى الموصل فزرعها بأرض البقعة، وخدمها بيده ثم حصده وتقوّت منه وخبأ منه بذرًا، ثم زرعه، فنما وبُورك فيه وكثُر إلى أن بقي يدخل عليه منه ما يقوم به وبجماعة من أصحابه. قال: وحكى لي تقي الدين المقصاتي قال: قرأت على شيخنا موفق الدين تفسيره فلما بلغت إلى «سورة الفجر» منعني من إتمام الكتاب، وقال: أنا أجيزه لك، ولا تقل قرأت كله على المصنف، يعني إن للنفس في ذلك حظًا. قال: وغبت عنه سنة ونصف فجئت ودققت الباب، وكان قد أضرَّ (يعني: فقد بصره) فجاء ليفتح فقال: من ذا؟ أبو بكر؟ فاعتقدتها له كرامة. (ص ٧٤٥).

- الفاروثي أحمد بن محيي الدين عز الدين أبو العباس المقرئ الواعظ المفسر (ت ٦٩٤هـ):

حكى ابن يونس المقرئ أن الشيخ عز الدين قبل موته بيومين أخذ يطلب أصحابه ويودعهم، ويقول: قد عرض لنا سفر، اجعلونا في حلَ، فكنا لا نفهم أي حاجة له بالسفر في هذا السن، فانتقل إلى الله بعد يومين. (ص ٧٦٠).

حُسن خاتمة أهل القرآن:

وأهل القرآن قد عظمت عنايتهم بالأعمال الصالحة في حياتهم؛ فكان من فضل الله ومنّته عليهم أن ييسر لهم خاتمة حسنة:

- أبو جعفر القارئ يزيد بن القعقاع المدني أحد القراء العشرة:

«لما مات وغُسّل نظروا إلى ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف، فما شك من حضره أنه نور القرآن». (ص ٥٥).

- عاصم بن أبي النجود الكوفي الإمام أحد العشرة:

دخل عليه أبو بكر (شعبة الراوي عنه)؛ فأغمي عليه، فأفاق، ثم قرأ قوله: «ثم رُدُّوا إلى الله مولهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين» (الأنعام:٦٢). (ص٨١).

- نافع بن عبد الرحمن المدني أحد العشرة:

لما حضرته الوفاة، قال له أبناؤه: أوصنا، قال: (اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) (الأنفال: ١) (ص ١١٠).

- النقاش محمد بن الحسن الإمام أبو بكر الموصلي المقرئ المفسر:

قال أبو الحسين بن الفضل القطان: «حضرت أبا بكر النقاش وهو يجود بنفسه في الثالث من شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، فحرّك شفتيه، ثم نادى بأعلى صوته: (لمثل هذا فليعمل العاملون) يرددها ثلاثًا، ثم خرجت نفسه رحمه الله. (ص ٣٢٩).

- الشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ قراء حمص:

توفي وهو ساجد في صلاة التهجد ليلة السبت ١٣٩٩/٢/١٣هـ، رحمه الله.

- الشيخ عامر السيد عثمان:

من أعلام القراءات وعلم رسم المصحف والتحريرات، أشرف على تسجيل المصاحف القرآنية المرتلة، وعُيّن شيخًا لعموم المقارئ المصرية سنة ١٩٨٠م وأقرأ بالقراءات العشر الصغرى والكبرى؛ كان قد فقد صوته في السنوات السبع الأخيرة من حياته، وكان يدرس تلاميذه القراءة فلا يفصح لهم إلا بشهيق وإيماء؛ ثم مرض مَرض الوفاة؛ وكان طريح السرير الأبيض بالمستشفى، ففوجئ أهل المستشفى به يقعد ويدندن بكلام الله بصوت جهوري جذاب مدة ثلاثة أيام ختم فيهن القراءة من سورة الفاتحة إلى سورة الناس ثم أسلم الروح إلى بارئها. انتقل رحمه الله إلى جوار ربه بالمدينة سنة ١٩٨٨ ودفن بالبقيع. (ذكر ذلك الشيخ ابن عقيل الظاهري في كتابه «الحباء من العيبة غب زيارتي لطيبة» ص ٥٨).

- الشيخ عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي:

كان يقرأ عليه طالب يوم الأربعاء ١٤٠٩/٦/١٧هـ بعد صلاة العصر، وحينما وصل إلى سورة الملك عند قوله تعالى: (إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) صعدت روح الشيخ إلى بارئها رحمه الله تعالى. (مقدمة كتاب هداية القاري إلى تجويد كلام الباري: ص ١١).

وفى الختام نسأل الله عز وجل أن يرزقنا حسن الخاتمة، وأن يحشرنا في زمرة أهل القرآن؛ وإن لم نعمل بعملهم؛ فالمرء مع من أحب.

مؤلفات المستشار في معرض القاهرة الدولي للكتاب

المستشار / أحمد السيد علي نائب رئيس هيئة قضايا الدولة،
والكاتب بمجلة التوحيد

متوفرة في معرض القاهرة الدولي للكتاب

في الفترة من ٢٢ يناير إلى ٤ فبراير ٢٠٢٠

صالة ٤ - جناح B٤٧

كثير من الفضائل
إعلام العباد
من لا تأكله الأرض
من الأجساد

تنبيه الغافلين بأهمية
الحفظ والتحصين
سلسلة تصحيح المفاهيم

رد المحتار عن التفكير
في الانتحار

إتحاف المسلمين
بما جاء في
الصبر والصابرين
سلسلة الرسائل الرمضانية

إعلام العباد
من لا تأكله الأرض
من الأجساد
كثير من الفضائل

سلسلة
تصحيح
المفاهيم

سلسلة
الرسائل
الرمضانية

إعلام المسلمين والمسلمات
بما ورد في
العقارب والحيات
رد المحتار عن التفكير
في الانتحار

تمور الطحان ®
أصالة الزمان
جئنا لنتفوق ..
وعليك أن تتذوق
حاصلة على شهادة
ISO 22000
Safety Seal
تمور الطحان
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪
بكل فخر صنع في مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com

خدمة العملاء
☎ 01284447778
01128911113

(+2) 01067717725
Altahhan.goldendates

محافظة الوادي الجديد

قلعة صناعة التمور فى مصر